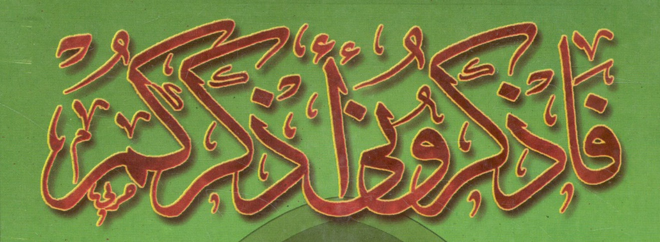
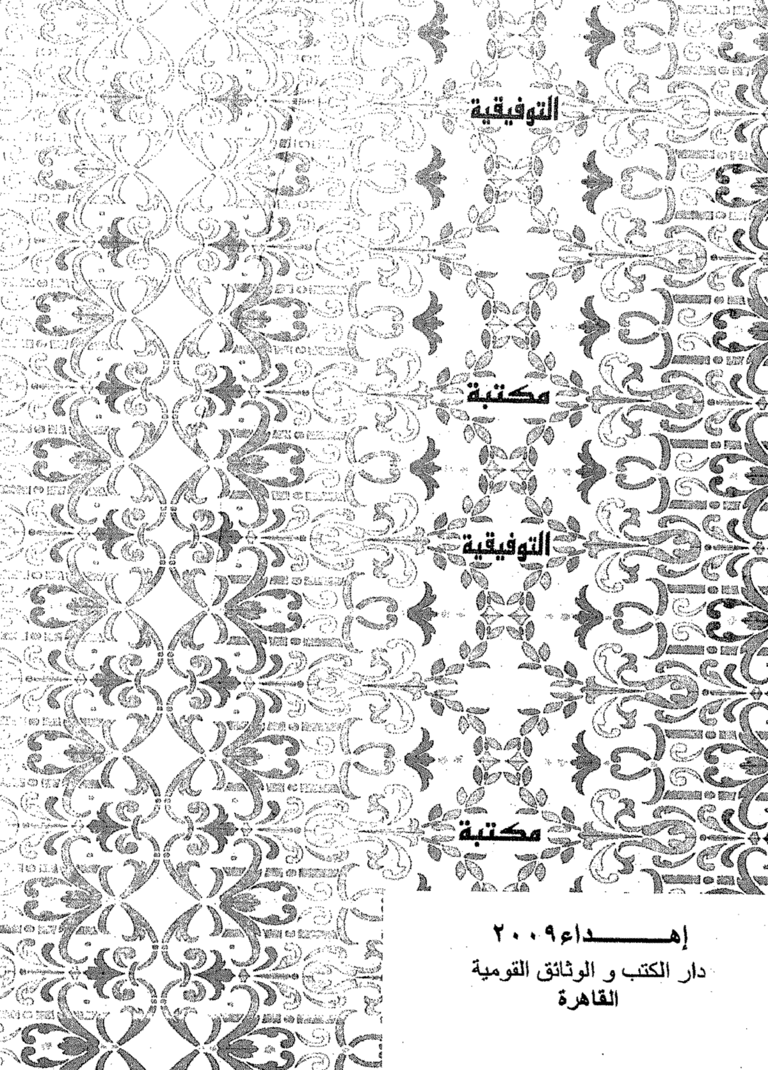


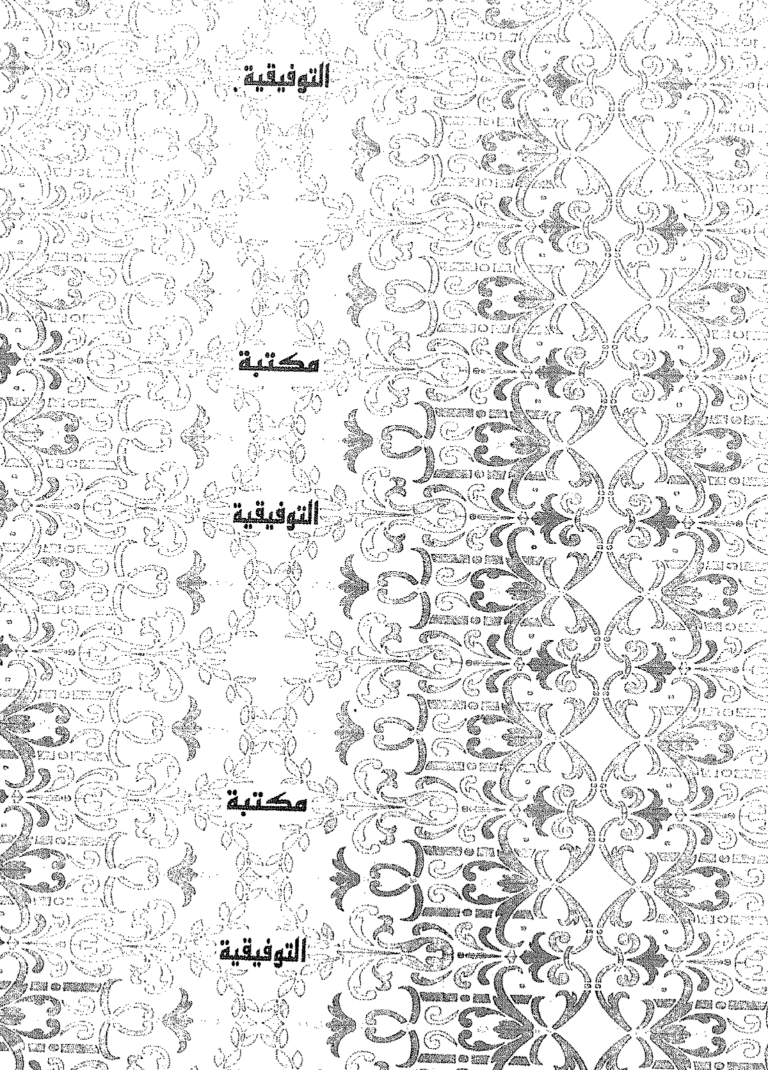
هشام ناجي

للإمام

الدكتور عبد الحليم محمود

المكتبة التوفيقية


التوفيقية
مكتبة
التوفيقية
مكتبة



التوفيقية
مكتبة
التوفيقية
مكتبة
التوفيقية



للإمام
الدكتور عبد الحليم محمود





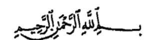
المكتبة التوفيقية

القاهرة - مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠(٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo - Egypt
Add : in front of the Green Door Of El Hussen
Tel : (00202) 5904175 -5922410
Fax : 6847957
shalan@eltawfikiapress.com

إشراف
توفيق شعلان



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشـرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

١ - فى الذِّكْرِ

الفصل الأول

بين يدى فاذكرونى أذكُرْكم

إجمال فى بيان الطريق إلى الله

يقول الله تعالى - فى سورة الزمر - تلك السورةالتى أخرج النسائى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقرؤها كل ليلة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [الزمر: ٥٣]».

وجاء رجل - كما ورد فى مسند الإمام أحمد - إلى رسول الله ﷺ: شيخ كبير يدّعم على عصا له فقال:

يا رسول الله، إن لى غدرات وفجرات فهل يغفر لى؟ فقال ﷺ: «**ألست تشهد أن لا إله إلا الله؟**» قال: بلى وأشهد أنك رسول الله.

قال ﷺ: قد غفر لك غدراتك وفجراتك.

إن الله سبحانه وتعالي فى هذه الآية الكريمة يفتح أبواب مغفرته ورحمته على مصاريعها، إنه يرجى عباده حتى لا ييأس أحد من رحمته.

﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

والجو الإسلامى كله مفعم بفتح أبواب المغفرة والرحمة.

فالحج المبرور مثلا يخرج الإنسان من ذنوبه، حتى يصبح فى البراءة منها، كيوم ولدته أمه.

ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، والإسلام يجبّ ما قبله.

وهذه الآيات الكريمة من سورة الزمر، تبدأ ببيان رحمة الله الواسعة، ومغفرته الشاملة، ثم تأخذ فى رسم الطريق لذلك، فيقول الله سبحانه: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

والطريق إذن إلى مغفرة الله ورحمته إنما هو التوبة الخالصة النصوح، وهى الإنابة إلى الله سبحانه، أى التوبة فى أسمى درجاتها. وإسلام الوجه لله سبحانه.

وبعد أن يبرأ الإنسان من ذنوبه ترسم له الآية التى تتلو ذلك طريقه: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥].

وأحسن ما أنزل إلينا من ربنا هو القرآن الحكيم - إنه: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وهو مهيمن على غيره، مبين للحق فيما يختلف فيه أهل الكتب السماوية. ثم يتلو ذلك آيات ثلاث تبين موقف الإنسان الذى لم يتب، أو الذى تاب ولم يتبع: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨].

وكل ذلك لا يجدى. والرد عليه حاسم من قبل الله سبحانه الحكيم العليم: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٩].

ويبين الله حالة هؤلاء يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

لا شك أن فيها مثوى للمتكبرين، مثوى يختلف ويتفاوت باختلاف درجاتهم فى الكبرياء والمعاصى وتفاوتهم فيها.

ويختم الله سبحانه هذه الآيات التى ترسم المنهج وتبين المآل والمصير، ببيان مآل ومصير الذين تابوا واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، فيقول سبحانه: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].

مسئولية

يقول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] وهذه الآية الكريمة يصفها رسول الله ﷺ، بأنها «الجامعة الفاذة». ذلك أنها عامة شاملة، وأنها عميقة دقيقة.

ولقد روى الإمام أحمد، عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبى ﷺ فقرأ عليه هاتين الآيتين.. فلما سمعهما قال: «حسبى، لا أبالى أن لا أسمع غيرهما».

الآيتان تحددان المسئولية تحديدًا لا لبس فيه، والجزاء مرتب على المسئولية: فإن عمل الشخص الخير فإن جزاءه يكون الخير.

أما إذا عمل الشر فالشر جزاؤه.

ويقول الله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والقرآن الكريم فى هذا الموضوع يبين أنه: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ويفيد أنه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

وقد أبان القرآن الكريم عاقبة عمل الخير، وعاقبة عمل الشر.

يقول الله تعالى جانب الخير: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وفى هذه الآية الكريمة رتب الله سبحانه السعادة على العمل الصالح الذى يقوم على الإيمان.

وهذه السعادة التى عبر الله سبحانه عنها بالحياة الطيبة، إنما هى سعادة فى هذه الدنيا، يعقبها سعادة أخروية.

وذلك ما عبر الله عنه بقوله فى الآية: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] أى: ونتيجة العمل الصالح ليس حتمًا أن تكون تالية له.

فقد تكون فى أثنائه: فتكون فى أثناء العمل طمأنينة نفس، وراحة بال، وهدوء ضمير.

ويذكر الله سبحانه قوانين الخير، ومنها قانون التقوى فيقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فالتقوى مؤدية إلى الفرج، والخروج من المآزق والشدائد.

ويذكر الله سبحانه قانون التقوى أيضًا فى صورة أخرى فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

والتقوى إذًا - وهى عمل صالح خالص لوجه الله - تفيد بالنسبة للفرد، وتفيد بالنسبة للقرى والجماعات.

أما الشر فإن له قوانينه أيضًا التى ذكرها الله سبحانه وتعالى.

يقول سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

والويل: هو الخسران وعدم الفلاح.

إنه يصيب كل مطفف.. إنه يصيب الذى يزيد إذا أخذ، وينقص إذا أعطى، ويصيب بالمثل كل مطفف.

إن الموظف مطفف إذا لم يؤد حق الوظيفة عـلى ما ينبغى، والمدرس مطفف إذا لم يقم بتربية الأمانات التى وكلت إليه كما يجب، والعامل مطفف إذا لم يتقن عمله.

وما من شك فى أن الله يحب إذا عمل أحدكم عـملا أن يتقنه، والصانع مطفف إذا لم يوف بما عـهد إليـه، والتلميـذ مطفف إذا لم يؤدّ واجب الدراسة على الـوجه الأكمل.

وكل مطفف جزاؤه الخسران والعذاب.

وبعد:

فقد يتساءل إنسان عن أمور الخير حتى يتبعها، وعن أمور الشر حتى يجتنبها؟

والأمران حددهما الله تعالى فى كـتابه الكريم، وعلى لسان رسوله ﷺ فى سنته الشريفة.

فإذا اتبع المؤمن بحكم إيمانه ما أمر الله به، واجتنب مـا نهى الله عنه فقد اعتصم بالله: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

لا يأس

يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

إن من علامات صدق الإيمان الثقة المطلقة فى الله سـبحانه وتعالى، فى رحمته، فى رأفته، فى عدالته، فى لطفه، فى عنايته بالمؤمن، ورعايته له.

الثقة برحـمة الله وفرجه حتى ولو كـانت كل الشواهد تدل على أن لا أمل، ولو كانت كل الظروف تشعر بالضيق.

والآية الكريمة التى نحن بـصددها تشـرح ذلك فى إيجـاز واضح، وفى جمـال بليغ، إنه سبحانه ينزل الغيث فى الوقت الذى يظن المحتاجون أن لا أمل فى قطرة ماء

وينشر رحمته في الأجواء اليائسة القانطة، فينقلب الجدب خضرة يانعة، ويصير القحط روضات وجنات، وذلك أن من صفاته سبحانه أنه ولى للمؤمن، حميد فى جميع تصرفاته.

إنه يتولى برحمته من حقق العبودية، وأفعاله سبحانه حميدة دائمًا لأنه سبحانه حميد.

وهذه الصورة من الإيمان الواثق بفرج الله ورحمته هي التى عبر عنها سيدنا يعقوب عليه السلام قائلا لبنيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وهى التى تجعل المؤمنين يلجئون إلى الله دائمًا بالدعاء والتضرع فيستجيب الله لهم كلما أخلصوا وجههم له: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة: ١٨٦].

والله الرحيم هو الذى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء. وصلة الله سبحانه وتعالى بالإنسان صلة رحمة ورأفة.

ورحمته سبحانه وتعالى تتجلى فى كل ما أسداه سبحانه لعباده من هذه النعم المادية التى لا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

ولكنها تتجلى فى أجمل مظاهرها فى قواعد الهداية التى أحبها الله لعباده، والتى يدور عليها درجة سموهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، وهى نعمة منبثقة رأسًا من رحمة الله يقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «**إنما أنا رحمة مهداة**».

ورحمة الله فى الهداية أجلى عند أولى الألباب من رحمته فى النعم المادية. وذلك أن رحمته فى الهداية نتيجتها لمن يتبعوها الأمن والطمأنينة والرضاء والسكينة.

وهذه الأمور هى السعادة التى يسعى لها من وفقهم الله للسير على هداه.

وهداية الله إذا تبعها الأفـراد سعدوا فى دنياهم وأخراهم، وإذا تبعهـا الجماعات أمنوا على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وعاشوا أعزة بالله وبدينهم.

وهداية الله للأفـراد ليست آراء تخطئ وتصـيب، وليست قـوانين تظهر التـجربة الخطأ فيها والصواب.

وإنما هى العصمة الكاملة، لأنها تنزيل من حكيم خبير.

وقد ضمن الله سبـحانه وتعالى لكل من يلتزمها أن يشمـله برعايته، فلا يقع فى غمرة الحزن والخوف، وإنما يسير فى نور من توفيق الله، وفى أمن من حمايته: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى سمى نفسـه بالرحمن، وسمى نفسه بالرحيم، وأمرنا أن نستفتح أعمالنا بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

وإن من رحـمة الإنسـان بنفسه أن يلجـأ إلى رحـمة الله الكبـرى، وهى هديه سبحانه، فـيستظل فى ظل دوحتها النضـرة وهى القرآن الكريم. فينعم من وراء ذلك بمرضاة الله وبحمايته.

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

التجئ إلى الله

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

إن من أجـمل ما يفـسر هذه الآية الكـريمة الحديث الصـحيح الذى رواه الإمـام

مسلم، والذى كان أبو إدريس الخولانى ﷺ يرويه كثيرًا، وكان حينما يرويه يجثو ﷺ على ركبتيه احترامًا وتقديسًا للحديث، ثم يبدأ فى ذكره.

عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال:

«يا عبادى: إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا.

يا عبادى: كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم.

يا عبادى: كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم.

يا عبادى: كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم.

يا عبادى: إنكم تخطِئون بالليل والنهار، وأناأغفر الذنوب جميعًا، فاستغفرونى أغفر لكم.

يا عبادى: إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى.

يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئًا.

يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكى شيئًا.

يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

يا عبادى: إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

وما من شك فى أن الإنسان - فى كل أحواله - فقير إلى الله. إنه فقير إلى الله فقرًا مطلقًا فى الناحية المادية على اختلاف أنواعها.

﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٥].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠].

والإنسان فقير إلى الله فى هدايته الروحية: وإننا لنردد كل يوم مرات عدة.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

والذين أنعم الله عليهم هم الذين اتبعوا هديه، وعملوا به، والتزموه.

وهدى الله سبحانه وتعالى يتضمنه القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

وإذا كان فقر الإنسان إلى الله فى الجانب المادى فقراً مطلقًا فإن فقره إلى الله فى الجانب الروحى فقر مطلق أيضًا.

وبعد:

فيقول صاحب كتاب التحبير: «وإغناء الله عباده على قسمين»:

فمنهم من يغنيه بتنمية أمواله وهم العوام - وهو غنى مجازى - ومنهم من يغنيه بتصفية أحواله وهم الخواص - وهو الغنى الحقيقى - لأن احتياج الخلق إلى همة صاحب الحال، أكثر من احتياجهم إلى لقمة صاحب المال.

قد أفلح من زكّاها

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وتزكية النفس: هى ما يريد الدين تحقيقه فى هذا العالم، ويريد تحقيقه لأجل غايات شتى:

أولها: أن تزكية النفس كمال إنسانى، وسمو روحى، ولا يتأتى هذا الكمال إلا إذا اتخذ الإنسان الطريق السليم.

والطريق السليم للكمال أو التزكية ليس نتيجة اختراع بشرى، أو ابتداع ذهنى، أو رسم إنسانى.

فالعقول تختلف وتتعارض - وإنما هو من رسم العزيز الحكيم وقد رسمه الله سبحانه فى كتابه العزيز وبينه فى محكم تنزيله مفصلا واضحًا لا لبس فيه.

وقد كان الرسول ﷺ مثلا تطبيقيًا لهذا الرسم الإلهى للتزكية: لقد كان خلقه القرآن.

وإذا كانت تزكية النفس كمالا إنسانيًا بالنسبة للفرد، فإنها جوهر العوامل فى استقرار المجتمع، وفى الأمن بين ربوع الوطن، وهذا هدف ثان من أهداف التزكية.

ومما لا شك فيه أنه كلما زادت نسبة التزكية فى مجتمع ما، كان الأفراد فى طمأنينة على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وكانوا بذلك فى محيط من السعادة أكمل وأتم، وكان مجتمعهم من المجتمعات التى يغبطون عليها.

والهدف الثالث من أهداف التزكية إنما هو النجاة بل النعيم فى الآخرة.

يقول سبحانه: ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى** ﴾ [طه: ٧٦].

وسبيل هذه التزكية الأصيل، وأساسها الراسخ، إنما هو الإيمان اليقينى الذى يسلم فى ثقة القياد إلى الله، ويلقى بنفسه فى ثقة وغبطة تحت الراية الإلهية يستظل بظلها، ويحملها، ويرفعها ترفرف على الآخرين لينضووا تحت لوائها: أى أنه يؤمن ويبشر بالإيمان وينشره، آمرًا بالمعروف - أى الخير والفضيلة - ناهيًا عن المنكر - أى الشر والرذيلة.

فإذا ما توفر الإيمان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أدى إلى صلاح الفرد، وصلاح المجتمع، والفوز فى الآخرة.

والخطوة الأولى فى طريق تحقيق الإيمان تحقيقًا صادقًا، والخطوة الأولى فى سبيل تزكية النفس، إنما هى الاتجاه إلى الله بالتوبة الخالصة النصوح، التوبة التى تفصل بين عهدين:

عهد ليس فيه صلح مع الله سبحانه.

وعهد فيه الصلح مع الله تعالى.

والتوبة الخالصة النصوح تضع الإنسان مباشرة فى مرتبة البراءة، إنها تغسل الذنوب، وتطهر النفس، فتصبح صحيفة الإنسان بيضاء ناصعة، معدة لأن تكتب فيها الأعمال الصالحة.

وبعد:

فإن التوبة الخالصة النصوح ثرية بالمعانى، فهى تتضمن: العزم المصمم على إخلاص العمل لله، إنها تتضمن نفى الشرك الظاهر والخفى.

وتتضمن: العزم المصمم على العمل الصالح، على التقوى، على طيب المطعم، على تحقيق ما يرضى الله، والابتعاد عما يغضبه.

ومن أجل ذلك كله يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

إن الله يحب التوابين

يقول الرسول ﷺ: **«أنا نبىّ التوبة»**.

والواقع أن الطريق إلى الحق الذى أرسل الله به رسوله إنما يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح.

ولقد كان رسول الله ﷺ يعيش فى جو من التوبة مستمر، ولقد روى عنه أنه كان يقول ما معناه: **«يا أيها الناس: توبوا إلى الله واستغفروه، فإنى أتوب إليه وأستغفره فى اليوم مائة مرة»**.

وما كانت توبة رسول الله ﷺ عن ذنب، وحاشاه ﷺ وهو المعصوم.

وما كانت توبته ﷺ عن غفلة، كلا وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه، وإنما كانت توبته توبة عبادة، وتوبة عبودية.

ومن أجل ذلك كان يكثر منها عبادة وعبودية، وكان يكثر منها ليكون فى داخل الإطار الذى رسمه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والتوابون هم الذين يكثرون من التوبة.

وللتوبة الصادقة خصائص: إنها أولا تخرج حظ الشيطان من القلب، فيصبح طاهرًا بريئًا من كل دنس، وهذا هوالمغزى العميق من وراء الجدل والمماراة فى حادث شق الصدر، وما من شك فى أن المغزى الذى نأخذه من شق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه هو الطهارة الكاملة للصدر.

ونشأ رسول الله ﷺ منذ بواكير حياته مطهرًا نقيًا. وأول خصائص التوبة إذًا إنما هى الطهارة والبراءة التامة.

ورذا أخذنا شق الصدر بالنسبة للرسول ﷺ بمثابة التوبة بالنسبة لنا فإننا نقول:

إن من خصائص التوبة حينما تتكرر فى صدق وإخلاص أن تملأ القلب سكينة، لأن الإنسان بالتوبة الصادقة يلقى بنفسه فى الرحاب الإلهى فيسكن إلى الله وكفى بالله هاديًا وكفى بالله نصيرًا.

إنه بالتوبة - وهى نوع من اللجوء إلى الله، والتضرع إليه، والإنابة - يسلم الأمر إلى الله.

وفى التوبة تسليم، وفى التوبة توحيد، وفى التوبة توكل على الله، فيمتلئ القلب سكينة.

وإذا كانت الأحاديث النبوية الشريفة تقول عن شق الصدر فى المرة الأولى:

«إن الملكين استخرجا حظ الشيطان من القلب الشريف» فإنها تقول عن شق الصدر فى المرة الثانية: **إن الملكين ملأ قلبه الشريف سكينة»**.

وتتكرر التوبة فتصل إلى ما عبرت عنه الأحاديث الشريفة عن شق الصدر الشريف فى المرة الثالثة وذلك أن الملكين ملآ القلب الشريف حكمة.

وكذلك الأمر فى التوبة إذا دامت. .

ثم إنها إذا تكررت انتهت بحب الله للعبد المكثر من التوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وكلمة رسول الله ﷺ : «أنا نبيّ التوبة».

معناها فى النهاية: أنا النبى الذى أتيت راسما للطريق الذى يسير بالإنسان في خطى منتظمة إلى استخراج حظ الشيطان من القلب، ثم إلى امتلاء القلب سكينة، ثم إلى امتلاء القلب حكمة، ثم إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده التائب.

وأما بعد:

فإن من طرائف العقول المستبصرة ما رواه صاحب كتاب الشامل ونقله عنه الإمام ابن كثير فى تفسيره من أن أعرابيًا جاء إلى الضريح النبوى الشريف وقال: السلام عليك يا رسول الله، لقد قال الله فى كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وقد جئتك مستغفراً لذنبى، مستشفعًا بك إلى ربى، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابى، وكان جالسًا بالقرب منه رجل صالح يسمع كلامه، فأخذته سنة من النوم فرأى النبى ﷺ فى النوم يقول له: «الحق بالأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له».

إياك نعبد وإياك نستعين

يقول الله تعالى فى سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

روى الإمام ابن كثير عن بعض السلف قوله: إن الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فالأول: أى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: تبرؤ من الشرك.

والثانى: أى قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تبرؤ من الحول والقوة، وتفويض الأمر إلى الله عز وجل. وهذا المعنى ورد فى كثير من آيات القرآن.. منها قوله تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾.

وهذه الكلمة القرآنية قد قدم الله سبحانه وتعالى لها بما يعتبر أساسًا ومبررًا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

والله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله ﷺ قائلا له: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩].

ويقول سبحانه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل: ٩].

وما من شك فى أن الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

تعنى عناية واضحة وجوب إخلاص العبادة لله وحده، ووجوب قصر الاستعانة على الله وحده.

والقرآن يوضح بما لا مزيد عليه أن الله سبحانه وتعالى هو وحده المتصرف فى الكون. إنه المتصرف فى اليسير من أمر الكون وفى العظيم منه:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وهو سبحانه كما يملك السماوات والأرض وكما يمسكهما أن تنزولا، ﴿ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٤١].

فإنه يملك كل جزئية من جزئيات العالم.

إنه يملك البصر فى العين، ويملك السمع فى الأذن كما يملك العين والأذن ويملك الصحة فى الجسم الصحيح، ويملك استمرار الجاه عند ذوى الجاه، ولو شاء سبحانه لأزال ذلك كله ومنع استمراره.

إن قوله تعالى: ﴿ وإليه يرجع الأمر كله ﴾ .

عام شامل. . ومن أجل ذلك: فإن العبادة يجب أن تكون خالصة له، وإن الاستعانة يجب أن تتمحص له ولقد رسم سبحانه الوسيلة الصحيحة للاستعانة به المثمرة:

إنها إخلاص العبادة له. . فمن أحب أن يكون الله سبحانه وتعالى معه بالتوفيق والتيسير والعون. . من أحب أن يستجيب الله له فليحقق العبودية له سبحانه:

فإياك نعبد: وسيلة لتحقيق ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

وفى حديث قدسى رواه الإمام البخارى توضيح لذلك، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه: «**من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىّ من أداء ما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه:**

فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه».

وهذا الحديث الشريف يبين فى وضوح أن أحب شىء يتقرب به الإنسان إلى الله إنما هو أداء ما افترضه الله عليه، وأن الإكثار من النوافل مع أداء الفرائض وسيلة إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده.

وإذا أحب الله إنسانًا كان معه بالتوفيق والهداية والتيسير، واستجاب له إذا سأل، وأعاذه إذا استعاذ.

وبعد :

فإن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾هى: تحقيق للإيمان الصحيح والتقوى الصادقة، أى أنها الصورة الواقعية لأولياء الله سبحانه.

والله تعالى يقول: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

اهدنا الصراط المستقيم

يقول تعالى فى سورة الفاتحة: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

والصراط المستقيم هو صراط الله الذى رسمه سبحانه فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم.. لقد رسمه الله سبحانه منهجًا ووسيلة، ورسمه مبادئ وقواعد، ورسمه غايات وأهدافًا.

ونحن بهذه الآية الكريمة نتجه إلى الله سبحانه، ندعوه أن يهدينا إلى صراطه المستقيم وذلك أنه لا يهدى إليه إلا هو: يقول سبحانه فى حديث قدسى: «**يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم**».

إن الهداية من الله سبحانه، وإن من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له وإذا هدى الإنسان إلى الصراط المستقيم فقد فاز بالخير الذى أحبه الله للإنسان كاملا غير منقوص.

والصراط المستقيم هو الإيمان الصادق، الإيمان الاتباعى:

أى الإيمان الذى تتحكم فيه التعاليم الإلهية تحكمًا تامًّا، ويسير فى إطارها راضيًا مستسلمًا مسلمًا:

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

إن المؤمن لا يؤمن حتى يحكم رسول الله ﷺ فى أمور عقيدته، وفى أمور أخلاقه، وفى أمور تشريعه.

وحتى يتقبل ذلك فى سكينة واطمئنان وغبطة.

ويصف الله سبحانه المؤمنين الصادقين فيقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وهذا الوصف للمؤمنين يتناول وصف الأساس القلبى: إنه إيمان لا ريب فيه.

ويتناول الأثر والمظهر: إنه الجهاد فى سبيل ما آمن به: جهاد النفس، وجهاد المال، جهاد بجميع أقطار النفس، وجهاد بكل ما تملك.

وهذه الآية الكريمة تعتبر مقياسًا صادقًا لكل من أراد أن يتبين حقيقة إيمانه.

والصراط المستقيم غايته ونهايته التى يؤدى إليها إنما هى الله سبحانه وتعالى.. وقد حددها سبحانه بقوله: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾.

وليس دون الله منتهى للمؤمن.

وغاية المؤمن - كل غايته - إنما هى الله سبحانه وتعالى.. ويبتدئ السير إلى الله بالتوبة الخالصة النصوح، والتوبة الخالصة النصوح هى أول خطوة على الصراط المستقيم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ويقول سبحانه فى حديث قدسى: «**يا عبادى: إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفرونى أغفر لكم**».

ورسول الله ﷺ يقول - فيما رواه الإمام البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه: «**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**».

ويقول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن الأغر بن يسار ﷺ : «**يأيها الناس: توبوا إلى الله واستغفروه، فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة**» .

والصراط المستقيم إذن: يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح، وليس له دون الله منتهى.

والله سبحانه وتعالى يصف المؤمنين مبينًا خطواتهم فى الطريق إلى الله، أو مبينًا الطريق نفسه فى تساميه وتدرجه، فيقول سبحانه فى وصفهم: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ**﴾ [التوبة ١١٢] .

ثم يختم الله سبحانه وتعالى هذا الوصف بقوله سبحانه: ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: ١١٢] .

وبعد: فإن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ .

لا تحده حدود، ولا تقيده قيود، فالبشرى مطلقة: إنها بشرى الله لهم بالنجاة وبالفوز فى الدنيا وفى الآخرة.

صراط الله

يقول الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

وصراط الله أساسه وجوهره إنما هو التوحيد.

إن التوحيد هو أساس صراط الله الذى لا يقيده زمن، ولا يحده مكان، ومن أجل ذلك كان الأساس فى دعوة جميع الأنبياء والرسل:

يقول تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٦٥] ويقول سبحانه: ﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٧٣] .

ويعمم الله سبحانه وتعالى الحكم تعميمًا، ويجعله شاملا شمولا مطلقًا فيقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهكذا كان التوحيد دعوة جميع الأنبياء والرسل.

والتوحيد الذى هو جوهر الرسالات إنما هو التوحيد الشامل العام..

أى توحيد الله سبحانه بالإلهية، وتوحيده بالربوبية، وتوحيده بالسيطرة والهيمنة على كل صغيرة وكبيرة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ولا يتأتى - والله مالك الملك - أن يسأل الإنسان غير الله، أو أن يستعين بغيره، وشعار المؤمنين الصادق هو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

إن شعارهم: **«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك»**.

ويوضح هذا الإمام القشيرى فيقول: إن الله تعالى مغن عباده بعضهم عن بعض، لأن الحوائج - على الحقيقة - لا تكون إلا إليه، فالمخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا.. فكيف يملك ذلك لغيره؟.

ولهذا قيل: «تعلق الخلق بالخلق تعلق المسجون بالمسجون»، وقيل: «من رفع حاجته إلى الله تعالى، ثم رجع عن حاجته إليه إلى غيره، ابتلاه بالحاجة إلى الخلق ثم نزع رحمته من قلوبهم».

ومعنى التوحيد الحقيقى فى النهاية: أن يلقى الإنسان بقياده فى استسلام مطلق إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يخلص له وجهه إخلاصًا لا رياء فيه.

ولقد سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: **«إنه الإخلاص»**.

ويقول سبحانه: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

«فكل ما ليس خالصًا لوجهه لا يثيب عليه، ولا يتقبله»..

ولقد بين رسول الله ﷺ أن الرياء على اختلاف صوره شرك يحبط العمل.

يقول رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد: «**إن أخوف ما أخاف على أمتى الشرك الأصغر**». قالو: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلي الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**».

والرياء مجموعة من الآثام تنزل بالإنسان إلى مستوى من الأخلاق غير كريم، ولقد حذر رسول الله ﷺ منه فى مختلف صوره، من ذلك ما قاله ﷺ فيما رواه البيهقى: «من صام يرائى فقد أشرك، ومن صلى يرائى فقد أشرك، ومن تصدق يرائى فقد أشرك».

وبعد:

فإن كل عمل لا يراد به وجه الله شرك، يتنافى مع التوحيد، لا يتقبله الله، ولا يثيب عليه.

والفيصل فى هذا هو ما حدث به رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف الذى يعتبر مبدأ هامًّا من مبادئ الإسلام:

روى البخارى رضي الله عنه بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

وكفى بربك هاديًا ونصيرًا

يقول الله تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ**﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧].

إن الذى لا شك فيه ولا مراء هو: أن الله سبحانه كاف عبده الذى حقق العبودية

له سبحانه، والقرآن الكريم يستفيض فى بيان قوانين الله سبحانه وتعالى فى كفاية الله لعبده الذى استجاب له سبحانه فى أمور الدنيا بالمشى فى مناكبها، والسعى فيها، والأكل من رزق الله، وبالانتشار فى الأرض، وابتغاء فضل الله، وبتسخير ما سخر الله للإنسان من عوالمه الكثيرة.

ويستفيض القرآن مع ذلك - بل من قبل ذلك ومن بعده - فى بيان قوانين الله لكفاية عبده الذى حقق لعبودية فى صلته به سبحانه.

وما من شك فى أن الصلة بالله على بساط العبودية، هى أساس كل خير، ومصدر كل توفيق، وهى مناط السعادة فى الدنيا والآخرة.

وإن الخطأ البين الذى يقع بعض الناس فيه عادة إنما هو ظنهم أن ثمار العبودية الصادقة إنما تتعلق بالآخرة فحسب.. وما من شك فى أن العبودية الصادقة ثرية بالخير فى الآخرة وثمارها شهية فيها، وما من ريب فى أن الآخرة خير وأبقى، وفى أن أعظم الخيرات - على الإطلاق - هى أن يقابل الإنسان ربه وهو عنه راض:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٤، ٣٥].

ومع ذلك:

فإن ثمار العبودية الصادقة تتحقق فى الدنيا قبل الآخرة.

وتبدأ العبودية الصادقة بالاستغفار.. فإذا ما أكثر الإنسان من الإستغفار كانت سعة الرزق.. يقول سبحانه على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وإذا قرن الاستغفار بالتوبة زاد ذلك فى قوة الإنسان بل الجماعة - فضلا عن

زيادته فى الرزق - يقول الله تعالى على لسان نبيه هود ﷺ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

على أن فى كثرة الاستغفار أمانًا من العذاب فى هذه الحياة الدنيا.. يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وإذا ما أكثر الإنسان من التوبة - والتوبة تضرع إلى الله وإنابة إليه - فإن الله يحبه. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فإذا التزم الإنسان التقوى فإن الله سبحانه وتعالى يجعل له: من كل ضيق فرجًا، ومن كل هم مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فإذا ما توكل الإنسان على الله التوكل الصادق فإن الله حسبه.. يقول سبحانه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

فإذا ما كان الله حسبه فإن كل من دون الله لا قيمة له.. وكل تخويف بغيره لا وزن له.

فالله هو وحده صاحب التصريف.. فمن يضلله فما له من هاد، ومن يهده فما له من مضل.. وذلك أنه سبحانه عزيز لا غالب له، ولا منافس، ولا منازع.. وهو يمهل ولا يهمل الذى يفسدون فى الأرض، ويجاهرون الله بالمعصية:

إنه سبحانه ينتقم منهم: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٧].

وبعد: فيقول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

الفصل الثانى

فَاذكرونى أذكُرْكم

فاذكرونى أذكركم:

أخرج الإمام البخارى ﵀ من حـديث قتادة، عن رسول الله ﷺ ، فيما يرويه عن ربه - قال: قال الله عز وجل:

«يا ابن آدم، إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى، وإن ذكرتنى فى ملإ ذكرتك فى ملإ خير منه، وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعًا، وإن دنوت منى ذراعًا دنوت منك باعًا. وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة».

وعن أبى هريرة ﵁ فيما رواه الإمـام أحمد وغير واحد من أصـحاب الصحاح قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى:

«أنا عند ظن عـبدى بـى، وأنا معـه إذا ذكرنـى، فإن ذكـرنى فى نفـسه ذكـرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى مـلإ ذكرته فى ملإ خير منهم، وإن تقرب إلى شـبراً تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة».

وزاد الإمام أحمد فى آخره: قال قتادة: والله أسرع بالمغفرة.

وروى الطبـرى بإسناد حسن، أن رسـول الله ﷺ قال: قـال الله جل ذكره: لا يذكرنى عبد فى نفسه إلا ذكـرته فى ملإ من ملائكتى، ولا يذكرنى فى ملإ ذكرته فى الملإ الأعلى..

فاذكرونى أذكركم:

معنى «اذكرونى: تذللوا لجلالى.

أذكركم: أكشف الحـجب عنكم، وأفيض عليكم رحمتى وإحـسانى، وأحبكم، وأرفع ذكركم فى الملإ الأعلى..

لما فى الحديث: «من تقرب إلىّ شبراً تقربت منه ذراعًا»(١).

وفى الحديث أيضًا: «إن الله إذا أحب عبدًا نادى جبريل فقال له: يا جبريل: إنى أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل.. ثم ينادى فى السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض»(٢).

وهذا من جملة الثمرات المعجلة..

وأما المؤجلة فرؤية وجه ربه الكريم، ورفع الدرجات، وغير ذلك(٣).

فاذكروني أذكركم:

ولقد حث الله سبحانه وتعالى على الذكر. قال سبحانه: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وحث الله سبحانه وتعالى على الذكر الكثير فقال آمرًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

ووصف الله سبحانه وتعالى أصحاب العقول المستنيرة التى رضى عنها لأنها اهتدت بهديه فقال سبحانه مادحًا إياهم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

---

(١) البخارى.

(٢) مسلم عن أبى هريرة.

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين.

ويصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين بصفـات يرضى عنها اختتمها بقوله: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والأمر بالذكـر كثيـر في القرآن الكريم، من ذلك قـوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣].

ويقـول ابن عبـاس ﷺ فى هذه الآية: «أى بالليل والنهار، فى الـبر والبـحر، والسفر والحضر، والغنى والفقر، والمرض والصحة، والسر والعلانية».

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ويقول ابن عباس ﷺ عن هذه الكلمة القرآنية الكريمة: إن لها وجهين:

أحدهما: أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه.

والآخر: أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه.

والواقع: أن الإنسـان إذا تدبر الآيات القـرانيـة الواردة فى الذكـر فـإنه يجـدها تستغرق الأوقات والحالات.

فأينما كان الإنسان وكيفما كان عليه دائمًا أن يكون ذاكراً لله سبحانه وتعالى، ولا يشغل ذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان عن عمـله. ولقد كان الكثير من كبار الصحابة من كبار التجار ولم يمنعهم ذلك عن أن يكونوا من كبار الذاكرين.

ولقد كان الكثير من كبار الذاكرين أصحاب حرف ومهن..

لقد كان منهم: «الخَّواص»، و«الخَّراز»، و«الصَّـبَّاغ» و«الحصرى»، و«الصيرفى»، و«القفَّال»، و«الحـصَّاد»، و «الحراس، و«الفراء»، و «المقـرئ». فضلا عن اشتـغالهم الذى لا يفتر بتعليم المسلمين وهدايتهم.

فاذكرونى أذكركم:

فضل الذكر:

ولقد تحدث رسول الله ﷺ كثيراً عن الذكر حاثًا ومادحًا وآمراً:

عن أبى هريرة رضي الله عنه فيما رواه الإمام مسلم قال: كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة، فمر على جبل يقال له «جمدان» فقال: «**سيروا: هذا جمدان سبق المفردون**». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً**».

وذكر هذا الحديث الترمذى وفيه: يا رسول الله: وما المفردون؟ قال: «**المستهترون بذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافًا**».

وكلمة «المفردون» - كما يذكر صاحب كتاب الترغيب والترهيب - بفتح الفاء وكسز الراء.

«والمستهترون» - بفتح التاءين - هم المولعون بالذكر، المداومون عليه، لا يبالون ما قيل فيهم، ولا ما فعل بهم[١].

وعن أبى موسى رضي الله عنه فيما رواه البخارى قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الذى يذكر الله والذى لا يذكر الله، مثل الحى والميت**».

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه فيما رواه الحاكم بإسناد صحيح - أن رجلا قال: يا رسول الله: إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به. قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**».

ويحدث الصحابى الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه فيقول فيما رواه الطبرانى وغيره: إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أى الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**».

ومن أجمل الوصايا التى أوصى بها رسول الله ﷺ وأنفسها - ووصاياه صلوات الله وسلامه عليه كلها جميلة نفيسة - وصيته لأم أنس[٢]، حينما قالت له: يا رسول الله.. أوصنى. قال: «**اهجرى المعاصى، فإنها أفضل الهجرة، وحافظى على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، وأكثرى من ذكر الله، فإنك لا تأتين بشىء أحب إليه من**

(١) الترغيب والترهيب.

(٢) قال الطبرانى: أم أنس هذه ليست أم أنس بن مالك.

كثـرة ذكره. وإن من السبـعة الذين يظلهم الله بظله يـوم لا ظل إلا ظله: رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه من خشية الله».

وروى البيهقى فى الشعب مـن حديث عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: **قال الله عز وجل: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»**.

قال الإمـام الصـاوى: «وينبغى للإنسـان أن يذكر الله كـثيـرًا. . لقوله تعـالى: **﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾** [الأحزاب: ٣٥].

ولا يلتفـت لواش ولا رقيب، لقول الـسيد الحـفنى، خطابًا للعارف بـالله تعالى أستاذنا الدردير:

يا مـبـتـغى طـرق أهل الله والتـسـليك

دع عنك أهـل الهـوى تسلم من التـشـكيك

إن «اذكـرونى» لرد المعـتـرض يكفـيك

فـاجـعل سـلاف الجلالة دائـمـا فى فـيك

فاذكرونى أذكركم:

الاجتماع على الذكر:

روى الإمـام مسلم، ﷺ، عن مـعاوية ﷺ، أن رسـول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحـابه فقال: **«ما أجلسكم؟»**. قالوا: جلسنا نذكر الله ونحـمده على ما هدانا للإسـلام ومن به علينا. قـال: **«آلله مـا أجلسكم إلا ذلك؟»**. قالـوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: **«أمـا إنى لم أسـتحلفكم تهـمـة لكم، ولكنه أتانى جبـريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة»**.

وعن أنس بن مالك ﷺ فيمـا رواه الترمذى وحسنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»**. . قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: **«حلق الذكر»**.

وعن أبى هريرة ﷺ قـال: قال رسـول الله ﷺ : **«إن لله مـلائكة يطوفـون فى الطرق - يلتمسون أهل الذكر - فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا:**

هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا.

قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم... ما يقول عبادى؟

قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك.

قال: فيقول: هل رأونى؟

قال: فيقولون: لا والله يارب ما رأوك.

قال فيقول: كيف لو رأونى؟

قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحًا.

قال: فيقول: فما يسألونى؟

قال: يقولون: يسألونك الجنة.

قال: فيقول: وهل رأوها؟

قال: فيقول: فكيف بهم لو رأوها؟

قال: يقولون: فكيف بهم لو رأوها؟

قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة.

قال: فمم يتعوذون؟

قال: يقولون: يتعوذون من النار.

قال: فيقول: وهل رأوها؟

قال: يقولون: لا والله ما رأوها.

قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟

قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة.

قال: فيقول:أشهدكم أنى قد غفرت لهم.

قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة.

قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم(١).

وفى رواية مسلم: فيقول: «وله غفرت، هم القوم لا يشقى به جليسهم».

وعن أبى الدرداء، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ، تغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء». قال: فجثا أعرابى على ركبتيه فقال: يا رسول الله: صفهم لنا نعرفهم. قال: «هم المتحابون فى سبيل الله، من قبائل شتى، وبلاد شتى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه»(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل، لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء، أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات»(٣).

وعن أبى هريرة، وأبى سعيد رضي الله عنهما، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله، ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: «غنيمة مجالس الذكر الجنة»(٥).

ويقول الإمام النووى: «اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس فى حلق أهله». وقد تظاهرت الأدلة على ذلك، وسترد فى مواضيعها إن شاء الله، ويكفى فى ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة

---

(١) البخارى.

(٢) رواه الطبرانى بإسناد حسن.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه.

(٥) رواه أحمد بإسناد حسن.

فارتعوا»، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟. قال: «حلق الذكر، فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم».

روينا فى صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟». قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنّ به علينا. قال: «آلله... ما أجلسكم إلا ذاك؟ أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة»..

وفى صحيح مسلم أيضًا عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى: إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده».

وقال الإمام الصاوى: «وهل الأفضل الذكر مع الناس، أو الذكر فى خلوة؟»..

والحق التفصيل: وهو: إن كان الإنسان ينشط وحده، ولم يكن مدعواً من الله لهداية الناس فالخلوة فى حقه أفضل، وإلا فذكره مع الناس أفضل: إما لينشط، أو لتقتدى الناس به.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره[1].

فاذكرونى أذكركم:

أنواع الذكر:

ومن المعروف أن الذكر على ضربين: ذكر اللسان. وذكر القلب.

فذكر اللسان: به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب.

يقول الإمام القشيرى: «فإذا كان العبد ذاكرًا بلسانه وقلبه، فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه».

ويقول الإمام الصاوى: «ولا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، فربما ذكر

(١) حاشية الصاوى جـ١، ص٦٣.

مع غفلة يجر لذكر مع حضور، لأنهم شبهوا الذكر بقدح الزناد، فلا يترك الإنسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلا، بك يكرر حتى يوقد، فإذا ولع القلب نارت الأعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وخفت العبادة على الأعضاء، فلا يكون على الشخص كلفة فيها.. قال العارف:

إذا رفع الحجاب فلا ملاله

بتوفيق الإله ولا مشقه

ويكفى الذاكر من الشرف، قول الله تعالى في الحديث القدسى: «**أنا جليس من ذكرنى**»(١) وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥](٢).

ويقول الإمام النووى: الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان.

والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعًا، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغى أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفًا من أن يظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعًا ويقصد وجه الله تعالى، وقد قدمنا عن الفضيل رحمه الله: «إن ترك العمل لأجل الناس رياء».

ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس، والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة، لا نسد عليه أكثر أبواب الخير، وضيع على نفسه شيئًا عظيمًا من مهمات الدين، وليس هذا طريقة العارفين.

فاذكرونى أذكركم:

أوقات الذكر:

وليس للذكر وقت معين.

وذلك أن جميع الأوقات صالحة للذكر. يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾ [الفرقان: ٦٢].

---

(١) الحاكم بمعناه، بسند صحيح وروى أحمد وابن ماجه بسند صحيح، أنا مع عبدى ما ذكرنى.. إلخ.

(٢) حاشية الصاوى على الجلالين، جـ١ ص٦٣.

لقد جعل الله سبحانه جميع آناء الليل والنهار صالحة للذكر: يقول ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. يقول: أى بالليل والنهار، فى البر والبحر، والسفر والحضر، والغنى والفقر، والمرض والصحة، والسر والعلانية.

والآيات فى القرآن كثيرة تبين أن ذكر الله مستحب فى جميع الأمكنة والأزمنة.

ويقول صاحب الرسالة القشيرية فى ذلك:

«ومن خصائص الذكر: أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله، إما فرضًا، وإما ندبًا، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الأوقات. والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات».

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

كل هذا أدى بالإمام القشيرى إلى أن يقول معبرًا عن الجو الصادق: «والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة فى هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر».

الفصل الثالث

صيغ الذكر

الاستغفار

ويبتدئ الذكر بالاستغفار.

وعن الاستغفار يقول رسول الله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»**(١).

ومن صيغ الاستغفار: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومنها: ﴿ **لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ومنها: «اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى، إنك أنت الغفور الرحيم».. ويروى علقمة ويروى الأسود، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: «فى كتاب الله عز وجل آيتان، ما أذنب عبد ذنبًا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له:

قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقوله عز وجل: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [النساء: ١١٠].

---

(١) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم والبيهقى.

ولقد قال ﷺ فى شأن الاستغفار الخالص: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**».

وهذا الحديث الشريف يسير فى انسجام مع قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**﴾ [نوح: ١٠-١٢].

ومن دعاء رسول الله ﷺ الجميل: «**اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا**».

وسيد الاستغفار هو - كما أخبر الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه: «**اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتنى، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ، وأبوء بذنبى، فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

ويروى الإمام الغزالى عن بعض العلماء أنه قال: «العبد بين ذنب ونعمة، لا يصلحهما إلا الاستغفار والحمد». ويروى عن قتادة رحمه الله قوله: «القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار».

القرآن

ومن الذكر قراءة القرآن:

عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، فيما رواه الترمذى رحمه الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول، [آلم] حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف**».

وفيما رواه الإمام مسلم بسنده، عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

ولقد وردت أحـاديث صحيـحة وحسنة فى فـضل سور وآيات معـينة من القرآن الكريم. . نذكر بعضها ونحن نعلم أن أحاديث كثيرة قد ذكرت فى فضل سور القرآن وليـست صـحـيـحة، ومن أجـل ذلك تحرينـا هنا الأحـاديث التى رويت فى كـتب الصحاح، أو بأسانيد صحيحة أو حسنة.

الفاتحة:

عن أبى هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ، خرج علـى أبىّ بن كعب فـقال: «**يا أبىّ**»، وهو يُصلى، فـالتفت أبىّ فلم يجـبه، وصلى أبى فـخفف، ثم انصـرف إلى رسول الله ﷺ فقال: «السلام عليك يا رسـول الله»، فقال رسول الله ﷺ: **وعليك السلام، ما منعك يا أبى أن تجيبنى إذ دعوتك؟**». فقال: يا رسول الله، إنى كنت فى الصلاة. قال: «**فلم تجد فيما أوحى الله إلىّ أن: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** [الأنفال: ٢٤]. قـال: بلى. . ولا أعـود إن شاء الله. قـال: «**أتحب أن أعلمك سـورة لم ينزل فى التـوراة، ولا فى الإنجيل، ولا فـى الزبور، ولا فى الفرقـان مـثلهـا؟**». قـال: نعم: يا رسـول الله. فقـال: رسـول الله ﷺ: «**كـيف تقـرأ فى الصلاة؟**». قال نقرأ أم القـرآن. فقال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده، ما أنزل الله فى التوراة، ولا فى الإنجيـل، ولا فى الزبور، ولا فى الفرقان مثلهـا، وإنها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته**»[1].

وعن أبى هريرة ﷺ قـال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: **قـال الله تعـالى: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل»**.

وفى رواية: «**فنصفها لى ونصفها لعبدى**».

«**فإذا قال الـعبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حـمدنى عبدى، فـإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** قال: أثنى علىَّ عبـدى، فإذا قال: **﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾** قال: مجدنى عـبدى، فإذا قال: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل.

---

(١) رواه الترمذى. وقال: حديث حسن صحيح. ورواه ابن خزيمةوابن حبان في صحيحيهما، والحاكم باختصار عن أبى هريرة عن أبى، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل[١].

الفاتحة وخواتيم سورة البقرة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم» فسلم وقال: «أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته**»[٢].

ومما ورد فى فضل الفاتحة ما رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: كنا فى مسير لنا ، فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحى سليم، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راق، فقام معها رجل ما كنا نأبنه[٣] برقية فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنًا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟.

قال: لا . . ما رقيت إلا بأم الكتاب.

قلنا: لا تحدثوا شيئًا حتى نأتى أو نسأل النبى ﷺ، فلما قدمنا المدينة. . ذكرناه للنبى ﷺ فقال: «**وما كان يدريه أنها رقية، أقسموا واضربوا لى بسهم**»[٤].

وروى مسلم فى صحيحه، عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج[٥] ثلاثا غير تمام**».

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم والنسائى والحاكم، وقال صحيح على شرطهما، و«النقيض» بالمعجمة: هو الصوت.
(٣) نذكره.
(٤) البخارى.
(٥) خداج: ناقصة.

سورتا البقرة وآل عمران:

عن أبى أمامة الباهلى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين [البقرة وسورة آل عمران] فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان [أو غيايتان] أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»(١).

الغيايتان: مثنى غياية: وهى كل شىء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة.

قال معاوية بن سلام: بلغنى أن البطلة السحرة..

وعن أسيد بن حفيد ﷺ أنه قال: «يا رسول الله: بينماأنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعت وجبة من خلفى، فظننت أن فرسى انطلق»، فقال رسول الله ﷺ: «**اقرأ أبا عتيك**» فالتفت، فإذا مثل المصباح مدلى بين السماء والأرض، ورسول الله ﷺ يقول: «**اقرأ أبا عتيك**» فقال: يا رسول الله.. فما استطعت أن أمضى.. فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب**»(٢).

وروى البيهقى فى شعب الإيمان - عن الصلصال - بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ سورة البقرة توج بتاج فى الجنة**»(٣).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذو عدد. فاستقرأهم، فقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سنًا فقال: «**ما معك يا فلان؟**». قال: معى كذا وكذا وسورة البقرة.. قال: «**أمعك سورة البقرة؟**». قال: نعم. قال: «**اذهب فأنت أميرهم**». فقال رجل من أشرافهم: «والله يا رسول الله، ما منعنى أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها».

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، ورواه البخارى، ومسلم، من حديث أبى سعيد بنحوه.

(٣) الجامع الصغير للسيوطى.

فقال رسول الله ﷺ : «تعلموا القرآن فاقرءوه وأقرئوا.. فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشوٍّ مسكًا، يفوح بريحه كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو فى جوفه كمثل جراب وكئ على مسك»(١).

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « لاتجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يدخله شيطان»(٢).

آية الكرسى وأواخر البقرة:

عن أبى أمامة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»(٣).

وعن أبى بن كعب ؓ، عن النبى ﷺ قال: «يا أبا المنذر - أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟». قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر.. أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟». قال: قلت: «الله لا إله إلا هو الحى القيوم». قال: فضرب فى صدرى وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»(٤).

وعن أبى هريرة ؓ قال: وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتانى آت، فجعل يحثو(٥) من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ.

قال: إنى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة. قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبى ﷺ : «يا أبا هريرة - ما فعل أسيرك البارحة؟». قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته، فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود. . فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ : إنه سيعود. . فرصدته، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ :

(١) رواه الترمذى وقال حسن.
(٢) رواه الترمذى بسند صحيح.
(٣) رواه النسائى وابن حبان بسند صحيح.
(٤) رواه مسلم وأبو داود.
(٥) يأخذ بكفه.

قال: دعنى فإنى محتاج وعلى عيال لا أعود - فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لى رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة: ما فعل أسيرك؟**». قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود.. فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لا تعود ثم تعود.

قال: دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هى؟.

قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية.. فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لى رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله - زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله، قال: ما هى؟.

قلت: قال لى: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال لى: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شىء على الخير-، فقال النبى ﷺ: أما إنه قد صدقك وهو كذوب... تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟. قال: لا. قال: «**ذاك شيطان**»(١).

وروى مثله عن أبى أيوب الأنصارى مع الغول(٢).

وعن أبى مسعود رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما فى ليلة كفتاه**»(٣).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن**

---

(١) البخارى.

(٢) البخارى والترمذى.

(٣) رواه الأربعة.

يخلق السماوات والأرض بألفى عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»(١).

وروى مسلم فى صحيحه - عن عبد الله(٢)- قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى السماء السادسة - إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض، فيقبض. وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها - قال: **﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾** [النجم: ١٦].

قال: فراش من ذهب.. قال: فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا: «أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقحمات».

وعن عقبة بن عامر الجهنى قال: قال رسول الله ﷺ: **«اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة، قال عطيتهما من كنز تحت العرش»**(٣).

آل عمران:

عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: **«اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** [البقرة: ١٦٣] وفاتحة آل عمران: **﴿الم ۝ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** [آل عمران: ١، ٢](٤).

وعن أبى أمامة رضي الله عنه قال.. قال رسول الله ﷺ: **«اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى ثلاث سور من القرآن: فى البقرة وآل عمران، وطه»**(٥).

قال هشام بن عمار خطيب دمشق: أما البقرة فـ **﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** [البقرة: ٢٥٥] وفى آل عمران **﴿الم ۝ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** [آل عمران: ١، ٢] وفى طه **﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾** [طه: ١١١](٦).

---

(١) الترمذى بسند حسن.
(٢) أى: ابن مسعود.
(٣) رواه أحمد بإسناد حسن.
(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وسنده فى صحيح السيوطى.
(٥) ابن ماجه والطبرانى والحاكم بسند صحيح والمراد به «الله لا إله إلا هو» أو «الحى القيوم».
(٦) ابن كثير فى تفسير «آية الكرسى».

العتاق الأول :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى[١] .

وكان ﷺ «لا ينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزمر»[٢] .

سورة الكهف :

عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين ، فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبى ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**»[٣] .

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**»[٤] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**من قرأ الكهف كما أنزلت ، كانت له نوراً يوم القيامة ، من مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه**»[٥] .

وعن أبى سعيد رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : «**من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**» .

وعن أبى الدرداء عن الرسول ﷺ قال : «**من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**»[٦] .

وعن أبى الدرداء عن الرسول ﷺ قال : «**من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال**»[٧] .

---

(١) البخارى .

(٢) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن عائشة بسند صحيح «سيوطى» .

(٣) البخارى .

(٤) رواه مسلم وأبو داود .

(٥) الحاكم وصححه .

(٦) رواه أحمد ومسلم والنسائي .

(٧) الترمذى بسند صحيح .

وفى رواية أن الرسول ﷺ قال: «**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين العتيق**»(١).

سورة يس:

عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قلب القرآن يس، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلى غفر له، اقرءوها على موتاكم**»(٢).

سورة الدخان:

عن أبى أمامة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من قرأ حم الدخان فى ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتًا فى الجنة**»(٣).

سورة الفتح:

عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يسير فى بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شىء، فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيرى حتى كنت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فىّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخًا يخرج.. قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فىّ قرآن.. قال: فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «**لقد أنزلت على الليلة سورة لهىّ أحب إلى مما طلعت عليه الشمس**» ثم قرأ: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ [الفتح: ١](٤). عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «كان لا ينام حتى يقرأ: ألم، تنزيل السجدة، وتبارك الذى بيده الملك»(٥).

---

(١) البيهقى بسند حسن.

(٢) أحمد وأبو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجه والحاكم وصححه.

(٣) الطبرانى بسند حسن «سيوطى».

(٤) البخارى.

(٥) أحمد والترمذى والنسائى والحاكم بسند صحيح.

سورة الملك :

عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل، حتى غفر له، وهى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾** [الملك: ١]»[١].

وعن ابن عباس ﷺ قال: ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهو لا يعلم، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ حتى ختمها، فأتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، ضربت خبائى على قبر وأنا لاأحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ تبارك حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ : «**هى المانعة، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر**»[٢].

سورة التكوير وسورة الانفطار، وسورة الانشقاق :

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ: «﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾**»[٣].

سورة الزلزلة، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص، وسورة النصر :

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل يأيها الكافرون، تعدل ربع القرآن، وقل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن**»[٤].

وعن أنس ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: **هل تزوجت يا فلان؟**». قال: لا والله يا رسول الله.. ولا عندى ماأتزوج به.. قال: «**أليس معك قل هو الله أحد؟**». قال: بلى. قال: ثلث القرآن. قال: أليس معك «إذا جاء نصر الله والفتح؟» قال: بلى قال: «**ربع القرآن**».. قال: «**أليس معك قل يا أيها الكافرون؟**». قال: بلى. قال: «**ربع القرآن**».. قال: «**أليس معك إذا زلزلت الأرض؟**». قال: بلى. قال: «**ربع القرآن.. تزوج .. تزوج**»[٥].

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم بسند صحيح.

(٢) الترمذى بسند حسن.

(٣) رواه الترمذى وغيره.

(٤) الترمذى والحاكم والبيهقى فى الشعب بسند صحيح «سيوطى».

(٥) رواه الترمذى عن مسلمة بن ردان عن أنس وقال: هذا حديث حسن.

سورة الإخلاص:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«احشدوا، فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن»** فحشد من حشد. ثم خرج النبى ﷺ فقرأ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ثم دخل.. فقال بعضنا لبعض: إنا نرى هذا خبرًا جاءه من السماء، فذلك الذى أدخله. ثم خرج نبى الله ﷺ فقال: **«إنى قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن.. ألا إنها تعدل ثلث القرآن»**(١).

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبى ﷺ، بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ..**﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: **«سلوه لأى شىء يصنع ذلك؟»** فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبى ﷺ: **«أخبروه أن الله يحبه»**(٢).

ورواه البخارى أيضًا والترمذى عن أنس أطول منه، وقال فى آخره: فلما أتاهم النبى ﷺ، أخبروه الخبر، فقال: **«يا فلان.. ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة؟»** فقال: إنى أحبها، فقال: **«حبك إياها أدخلك الجنة»**.

المعوذتان:

عن عقبة بن عامر - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألم تر آيات أنزلت الليلة، لم ير مثلهن، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»**(٣).

وعن عبد الله بن حبيب رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: **«اقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تمسى، وحين تصبح، ثلاث مرات.. تكفك من كل شىء»**(٤).

وكما بدأنا الحديث عن القرآن بذكر فضله، فإنا نختمه أيضًا بأحاديث فى فضله:

---

(١) رواه مسلم، والترمذى.

(٢) رواه البخارى ومسلم، والنسائى.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح.

عن عثمان بن عفان ﷺ - فيما رواه الشيخان - عن النبى ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

وعن أبى سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب تبارك وتعالى: «**من شغله القرآن عن مسألتى، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه**»[١].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه - وهو عليه شاق - له أجران**».

وفى رواية: «**والذى يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران**»[٢].

وعن أبى هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**يجىء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حلة. فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، ويزداد بكل آية حسنة**»[٣].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد، ولا يجهل مع من جهل، وفى جوفه كلام الله**»[٤].

وعن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس والده يوم القيامة تاجًا من نور، ضوءه مثل الشمس، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسبنا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن**»[٥].

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى.

(٣) رواه الترمذى وحسنه، وابن خزيمة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٤) الحاكم، وقال صحيح الإسناد.

(٥) الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

وبعد:

فيقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

ويقول تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٧٨-٨٢].

ويقول تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وتأمل فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

إنه سبحانه يصف نفسه بهذين الوصفين الجليلين: علىّ، حكيم، هذان الوصفان الجليلان يصف الله سبحانه بهما القرآن الكريم فيقول: ﴿حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١-٤].

وأما بعد:

فقد حاول بعض السذج - كأبى عصمة، نوح بن أبى مريم - أن يرغب الناس فى القرآن، فوضع أحاديث عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة.. فقيل له فى ذلك.

فقال: إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة. ومغازى ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة[1].

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى.

وهى سذاجة - لأنه يظن أن كل سورة فى القرآن تحتاج إلى نص خاص للحث على قراءتها وبيان فضلها.

إن آيات كثيرة تمجد القرآن وتحث على القرآن، وترشد إلى هداية القرآن ككل، وتدعو إلى تدبره..

قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ولقد حث الله على تلاوته فقال: ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣١].

وقال: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل: ٤].

ووردت أحاديث كثيرة تذكر فضل القرآن ككل، وتدعو إلى تلاوته، والإكثار منها، وتذكر آداب التلاوة، والزمن الذى ينبغى أن تتم فيه:

عن أبى هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل»**.

وعن سهل بن سعد ﷺ: أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: جئت لأهب لك نفسى، فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعد النظر إليها

وصوبه(١) ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: **«هل عندك من شيء؟»**. فقال: لا والله يا رسول الله. قال: **«اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا؟»**. فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله، ما وجدت شيئًا. قال: **«انظر ولو خاتمًا من حديد»**. فذهب، ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله، ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزارى. . - قال سهل: ما له رداء فلها نصفه -. فقال رسول الله ﷺ: **«ما تصنع بإزارك، إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء»**. فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام، فرآه رسول الله ﷺ موليًا، فأمر به فدعى، فلما جاء قال: **«ماذا معك من القرآن؟»**. قال: معى سورة كذا، وسورة كذا، عدها. قال: **«أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟»**. قال: نعم. قال: **«اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»**(٢).

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: «رأيت النبى ﷺ يقرأ، وهو على ناقته - أو جمله - وهى تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح - قراءة لينة، يقرأ وهو يرجع»(٣).

وعن قتادة قال: سئل أنس: كيف كانت قراءة النبى ﷺ؟

فقال: «كانت مدًا، ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ويمد بـ ﴿الرَّحْمَنِ﴾، ويمد بـ ﴿الرَّحِيمِ﴾»(٤).

ولقد كان ﷺ يحب القراءة الحسنة والصوت الحسن ويشجع على إجادة التلاوة:

لقد قال لأبى موسى الأشعرى رضي الله عنه: **«يا أبا موسى: لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»**(٥).

وقال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **«اقرأ علىّ»**. . فقال: يا رسول الله. . أقرأ عليك

---

(١) أى: رفعه وحفظه.

(٢، ٣، ٤، ٥) البخارى.

وعليك أنزل؟ قال: «نعم». فقرأ عبد الله سورة النساء حتى أتى إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١][١].

فقال ﷺ: «**حسبك الآن**».. فالتفت إليه عبد الله.. فإذا عيناه تذرفان[٢].

ولقد شغفت الصحابة بالقرآن واستعذبوه وأقبلوا فى نهم على قراءته. لقد كان عبد الله بن عمرو يختم القرآن كل ليلة، فقال له الرسول ﷺ: «**اقرأ القرآن فى كل شهر**».. فقال: إنى أطيق أكثر من ذلك. فمازال حتى قال له الرسول ﷺ: «**فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك**»[٣].

ولقد حث الرسول ﷺ على تعلمه فقال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» وفى رواية: «**إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**»[٤].

وكان يشجع الصبيان على تعلمه، وكان تعلمه مبعث فخر واعتزاز حتى إن ابن عباس قال: «توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم» وفى رواية عن سعيد بن جبير: فقلت: وما المحكم؟ قال: المفصل[٥].

ولقد حذر الرسول ﷺ من نسيان القرآن وأمر بتعاهده فقال: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**»[٦].

وعن عبد الله قال: قال النبى ﷺ: «**بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت أن كيت وكيت.. بل نسى، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيًا[٧] من صدور الرجال من النعم**»[٨].

وقال ﷺ: «**تعاهدوا القرآن، فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل فى عقلها**»[٩].

ولعل كثرة الثواب فى تلاوته لسرعة تفصيه وفجاءة نسيانه واحتياجه الدائم إلى التعاهد ومداومة القراءة.

(١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦) البخارى.

(٧) تخلصًا وذهابًا.

(٨، ٩) البخارى.

قال رسول الله ﷺ : «اقرءوا القرآن، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[١].

وقال: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآلا عمران تحاجان عن صاحبهما»[٢].

وقال: «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به، مع السفرة الكرام والبررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه[٣] وهو عليه شاق له أجران»[٤].

وقال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين»[٥].

وقال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول: آلم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٦].

وقال: «إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب»[٧].

وقال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٨].

نريد أن نقول: إن توجيه الأنظار إلى آيات وسور مخصوصة إنما هو للتركيز عليها، والمداومة على قراءتها، للانتفاع بخاصيتها من ناحية. ومن ناحية أخرى: لسهولة حفظها بالنسبة إلى غيرها - خاصة لمن لا يحفظون القرآن - وحفظها طريق إلى تذوق حلاوة القرآن ومحاولة التزود منه قدر الطاقة. ثم إن زيادة فضلها على غيرها من القرآن لا يؤثر فى فضل القرآن، ولا ينقص من الحث عليه، بل يزيده فضلاً وثناءً:

(١، ٢) رواه مسلم.

(٣) يتردد فى قراءته لثقله عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه الترمذى، وقال حسن صحيح.

(٧) رواه الترمذى، وقال حسن صحيح.

(٨) أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح.

إنه كل متكامل، وكله كريم وعظيم ونافع.

إنه كنز ثمين، ولكن بعضه أثمن وأنفس.

فلا حاجة لاختلاق أخبار ولو بقصد صحيح فذلك كذب على رسول الله ﷺ وهو القائل: «**من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**».

وتخصيص بعضه بهذا التركيز مقصود لحكمه هامة بعضها ما ذكرناه. وكل سورة بل كل آية منه فيها نور، وفيها ضياء وفيها هدى للمتقين، وما أصدق قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [الإسراء: ٩،

التهليل

روى الترمذى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير**».

وقد أخرج الإمامان البخارى ومسلم ﷺ، من حديث أبى هريرة، - نضر الله وجهه -، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك**».

وروى الإمام البخارى بسنده، عن عبادة بن الصامت، عن النبى ﷺ، أنه قال: «**من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم**»، ثم قال: «**اللهم اغفر لى، غفر له، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى، قبلت صلاته**».

ومما وصفت به كلمة: لا إله إلا الله.. أنها: «كلمة التوحيد، وهى كلمة الإخلاص، وهى: كلمة التقوى، وهى: الكلمة الطيبة، وهى: دعوة الحق، وهى: العروة الوثقى، وهى: ثمن الجنة»[1].

وما من شك فى أن كلمة التوحيد إذا قيلت باللسان نابعة من القلب إنما تمثل التوحيد الخالص، وكانت تعبيراً صادقًا عن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وكانت تعبيراً عن: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وكانت تحطيمًا للأصنام النفسية والمادية، وتطهيراً للإنسان عن الشرك فى جميع ألوانه، ومن أجل ذلك كانت عماداً من عمد الأوراد الصوفية.

وعمد الأوراد الصوفية:

١ - استغفار.

٢ - وتوحيد (**لا إله إلا الله**).

٣ - وصلاة على الرسول ﷺ.

فهى تمثل ثلث الأوراد الصوفية، بل تمثل الثلث الأساسى، فبدونها لا يتحقق السلوك إلى الله على أى وضع من الأوضاع.

ونختم هذا بحديث الإمام البخارى: فقد روى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله - من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث - أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه**».

وبحديث الحاكم الذى قال عنه إنه صحيح الإسناد: «**أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله**».

---

(١) إحياء علوم الدين.

ومن كلام الإمام الغزالى: «نسأل الله تعالى، أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لا إله إلا الله، حالاً ومقالاً وظاهرًا وباطنًا، حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها، بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله، فإن من أحب الله، أحب الله لقاءه».

التسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة

يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [الإسراء: ٤٤].

ويقول سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩، ٤٠].

ويقول تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩].

ويقول: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

والآيات القرآنية الكريمة تقرن التسبيح والتحميد تارة، وتفردهما أخرى. أما الأحاديث النبوية الشريفة فإنها أيضًا تقرن التسبيح بالحمد تارة، وتفردهما أخرى، وتتحدث كثيرًا عنهما مع التهليل والتكبيروالحوقلة، ومن أجل ذلك ستتحدث عنها مجتمعة مبينين مكانتها فى الذكر، عن طريق الأحاديث الشريفة.

ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنة قائلاً: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

ولقد روى الإمام مسلم بسنده، عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سبح دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد ثلاثًا وثلاثين، وكبر ثلاثًا وثلاثين، وختم المائة بلا إله إلا الله، وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»**[1].

---

(١) رواه مسلم.

وعن جابر ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «أفضل الذكر لا إله رلا الله، وأفضل الدعاء الحمد الله»(١).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه»(٢).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(٣).

وعن أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟». قلت: يا رسول الله أخبرنى بأحب الكلام إلى الله، فقال: «أحب الكلام إلى الله، سبحان الله وبحمده»(٤).

وعن أبى هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، فى يوم مائة مرة، غفرت له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر»(٥).

وعن سليمان بن يسار ﷺ، عن رجل من الأنصار، أن النبى ﷺ قال: «قال نوح لابنه: إنى موصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها: أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الأرض، أوصيك بلا إله إلا الله: فإن السماوات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما، ولو كانتا فى كفة وزنتهما.. وأوصيك بسبحان الله وبحمده: فإنهما صلاة الخلق، وبهما يرزق الخلق، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خلقه: أنهاك عن الشرك والكبر»(٦).

---

(١) ابن ماجه والنسائى وانب حبان فى صحيحه.
(٢) الترمذى.
(٣) البخارى ومسلم.
(٤) مسلم والنسائى والترمذى.
(٥) مسلم والترمذى.
(٦) النسائى والبزار والحاكم، وقال صحيح الإسناد.

وعن مصعب بن سعد ﷺ قال: حدثنى أبى قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: **«أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟»**. فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟

قال: **«يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة، أو تحط عنه ألف خطيئة»**[١].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن أقول سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس»**[٢].

وعن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»**[٣].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيت إبراهيم عليه السلام، ليلة أسرى بى، فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»**[٤].

وعن أبى ذر ﷺ أن ناسًا من أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى ﷺ: يا رسول الله: ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: **«أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفى بضع أحدكم صدقة»**.

قالوا: يا رسول الله - أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: **«أرأيتم لو وضعها فى حرام كان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر»**[٥].

---

(١) مسلم والترمذي وصححه، والنسائى.

(٢) مسلم والترمذى.

(٣) مسلم وابن ماجه.

(٤) رواه الترمذى.

(٥) مسلم وابن ماجه، «الدثور» بضم الدال جمع دثر - بفتحها - وهو المال الكثير، «البضع» بضم الموحدة، وهو الجماع وقيل الفرج نفسه.

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «استكثروا من الباقيات الصالحات». قيل: وما هـن يا رسول الله؟. قال: «التكبيـر، والتهليل، والتسـبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا حدثتكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك فى كتاب الله: إن العبـد إذا قال: سبحان الله، والحـمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكـبر، وتبـارك الله، قبض عليـهن ملك فضـمهن تحت جناحـه وصعـد بهن، لا يمر بهن على جمعٍ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يحيا بهن وجه الرحمن. ثم تلا عبد الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠](٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ : «إذا مـررتم بـرياض الجنة فارتـعوا». قلت: يا رسـول الله، وما رياض الجنة؟ قـال: «المسـاجد». قلت: وما الرتع؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «أول من يدعى إلى الجنة، الذين يحمدون الله عز وجل فى السراء والضراء»(٤).

وعن جويرية رضي الله عنها: أن النبى ﷺ خرج من عندها، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة، فقال: «مازلت على الحال التى فارقتك عليها؟». قالت: نعم.. قال النبى ﷺ : «لقـد قلت بعـدك أربع كلمـات، ثلاث مـرات، لو وزنت بما قلت منذ اليـوم لوزنتـهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»(٥).

وعن أبى أيوب رضي الله عنه قال: قـال رجل عند رسول الله ﷺ : الحمد لله حـمدًا كثيرًا طيـبًا مباركًا فيـه. ورأى أنه قد هجم من رسول الله ﷺ على شيء يكرهه، فقال رسول الله ﷺ : «من هو؟ فإنه لم يقل إلا صوابًا».

---

(١) أحمد وأبو يعلى والنسائى.

(٢) الحاكم، وقال صحيح الإسناد.

(٣) رواه الترمذى.

(٤) ابن أبى الدنيا والبزار والطبرانى.

(٥) مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى.

فقال الرجل: أنا قلتها يا رسول الله أرجو بها الخير. فقال: «**والذى نفسى بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكًا يبتدرون كلمتك، أيهم يرفعها إلى الله تبارك وتعالى**»[١].

وعن أبى موسى ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال له: «**قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة**»[٢].

وعن أبى ذر ﷺ قال: كنت أمشى خلف النبى ﷺ فقال لى: «**يا أبا ذر، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**». قلت: بلى، قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٣].

ونعود إلى التسبيح من جديد:

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾ [الإسراء: ٤٤].

وفى معنى هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى فى أول سورة الحديد: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحديد: ١].

ويقول سبحانه فى أول سورة الحشر: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر: ١].

وافتتح الله سورة الصف وسورة الجمعة وسورة التغابن بالأخبار عن تسبيح الكون له سبحانه.

ويقرن علماؤنا الأعلام ﷺ بين التسبيح لله سبحانه وبين السجود له وكما أخبر الله سبحانه بأن الكون كله، جماده ونباته وحيوانه، وجنه وإنسه وملائكته يسبح له سبحانه، فإنه أخبر أن الكون أيضًا بما فيه ومن فيه يسجد له تعالى... يقول سبحانه: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**

---

(١) ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد حسن واللفظ له، والبيهقى.

(٢) ابن ماجه وابن أبى الدنيا وابن حبان فى صحيحه.

(٣) ابن ماجه وابن أبى الدنيا وابن حبان فى صحيحه.

وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

والواقع أن تسبيح الله تسبيحًا حقيقيًّا. والسجود له سجودًا صادقًا، يرتبطان فى وحدة منسجمة فيعبران عن التنزيه القلبى الخالص.

والآيات القرآنية الكثيرة المتعلقة بالتسبيح، والمتعلقة بالسجود، تتكاتف كلها لتدل دلالة بينة على أن الحياة منبثة فى جميع أجزاء العالم، سارية فى كل خلية من خلاياه، وفى كل ذرة من ذراته.

ويؤيد ذلك الأحاديث التى وردت بتسبيح الحصى، وحنين الجذع.

يقول الإمام ابن كثير: «وفى حديث أبى ذر أن النبى ﷺ، أخذ فى يده حصيات، فسمع لهن تسبيح كطنين النحل، وكذا فى يد أبى بكر وعمر وعثمان ﷺ». وهو حديث مشهور فى المسانيد.

ولقد قطع الله الطريق على كل من يمارى فى تسبيح النبات والجماد بقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وتسبيح الله هو تنزيهه سبحانه عن الشريك فى الخلق، وعن الشريك فى القدرة أو الإرادة أو المنح أو المنع.

إنه التوحيد: توحيد الله بالحمد العام المطلق، وبالشكر الشامل التام. كل ما فى الكون يسبح، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

ولقد أجمل الله سبحانه تسبيح الجمادات وفصله، واستعمل فى ذلك صيغة «سبح» وصيغة «تسبح» وصيغة «يسبح».

فمن صيغ الماضى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١].

ومن صيغ المضارع: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

ومن أمثلة التفصيل قوله تعالى عن الجبال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

والرعد يسبح: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣].

وننتقل إلى الكائنات النورانية التى لا يعتريها شك فى تنزيه الله سبحانه، ومع ذلك فهى تسبح، ننتقل إلى الملائكة، يقول تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

ويقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ويقول: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

أما الإنسان فقد فصل الله سبحانه وتعالى الأمر بالنسبة إليه تفصيلاً جميلاً.

لقد أمر سبحانه بالتسبيح أرقى المخلوقات وهم الأنبياء والرسل.

ولقد قال سبحانه لرسوله الكريم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

وأمر سبحانه جميع المؤمنين به فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥١، ٥٢].

وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

وجعله علامة الإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥].

وبين الله سبحانه وتعالى، أنه جعل لبني البشر من الفلك والأنعام مركبًا ثم قال: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

والأمر كذلك فى كل نعمة. وهو سبب النجاة.

فذو النون عليه السلام يقول الله عنه: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

ويقول سبحانه عنه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

ويقول سبحانه عن هؤلاء الذين دمر جنتهم: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٢٨، ٢٩].

وهو سبب فى الرضا والسكينة، رضا النفس وسكينتها، يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

وهو من دعاء رجال فى بيوت الله.. يقول سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وهو من دعاء أهل الجنة، يقول سبحانه: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

ثم هو فى الحقيقة شعار المؤمن إن رضى، وشعاره إن تعجب، وشعاره إن سمع بشأن الله ما لا يليق بجلاله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦].

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٣].

ومن أجل ذلك كله. . أمر الله سبحانه وتعالى به فى جميع الأوقات، أمر به فى العشى والإبكار: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر: ٥٥].

وفى المساء والصباح: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم: ١٧].

وبكرة وأصيلاً: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٩].

وقبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل وأدبار السجود: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ [ق: ٣٩، ٤٠].

وعند القيام، ومن الليل، وإدبار النجوم: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩].

وبعد: فيقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: **«من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد»**(١).

ونعود إلى الحمد أيضًا من جديد:

الحمد الذى افتتح الله به الفاتحة، أى افتتح به القرآن مُشيرًا إلى العلة وهى التربية

---

(١) رواه مسلم.

التى من شأنها أن تهذب وأن تسير بالمربى نحو الكمـال، التربية أو السير نحو الكمال لكل عالم، لجميع العالمين.

الحمد لله رب العالمين.

الحمـد لله المربى لجميع العـوالم، السائر بهم نحو الكمـال بحسب استـعداد كل واستجابتـه، ومن أجل ذلك، بل من أجل كماله سبحانه فى نفســه كان له الحمد فى السموات والأرض.

﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٨].

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الجاثية: ٣٦].

وكان له الحمد فى الأولى والآخرة: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠].

ومن أجمل أنواع الحمد وأرقها، وأرقاها وأنفـسها، الحمد الذى ينبعث من نفس الإنسان من أجل كمال الله سبحانه.

وقد وردت فى القرآن الكريم نماذج لذلك.

يقول تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

ويلى ذلك الحمد على نعمة الهداية، وعلى إنزال مصدرها ومنبعها: القرآن.

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١].

ثم الحمد على النعـمة العامة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١].

ثم الحمد من أجل النعم الخاصة، والنعم الخاصة كثيرة متعددة.

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقد أسبغها الله علينا ظاهرة وباطنة: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠].

وكلها - بدون استثناء - من الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

من أجل ذلك: أمر الله سبحانه بالحمد عند كل نعمة: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

واستجاب للأمر من استجاب: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

والحمد من دعاء أهل الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤] بل هو آخر دعاء أهل الجنة: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠].

الحمد لله: إنها تملأ الميزان كما ورد فى حديث أبى مالك الأشعرى - فيما رواه الإمام مسلم. قال: قال رسول الله ﷺ: « **الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن [أو تملأ] ما بين السماوات والأرض** ».

وبعد:

فعن رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فى يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر**

رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مـائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه».

وقال: «من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مـرة، حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[١].

وأخيـرًا: فإنه ينبغى - مـتابعة للنسق القـرآنى - أن يفتتـح المسلم كل عمل من أعماله الخيرة بقوله: «الحمد لله».

الإسلام والاستسلام لله:

ويتساءل كثير من الناس فيقولون:

لم كانت ثمرة هذه الكلمات، مع سهولتها ويسرها عظيمة؟ لم كان ثوابها جزيلاً؟

لم كان لها كل هذا الفضل؟

من أجل الإجابة عـلى هذا السؤال نورد حديثـين ينبغى أن نتدبرهـما فى تأمل، ونتروى فى فهم معناهما فى عمق:

عن أبى هريرة ﷺ، أنه سـمع رسول الله ﷺ يقول: «من قـال: سبـحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، قال الله: أسلم عبدى واستسلم»[٢].

وروى الحاكم وقال: صـحيح ولا علة له - أن رسول الله ﷺ قال لأبى هريرة: «ألا أعلمك [أو ألا أدلك] على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله: أسلم عبدى واستسلم».

والهدف إذن من ترداد هذه الكلمات المباركة:

أن يتغلغل معناها فى رفق، فى نفس الإنسان، وفى كـيانه كله، حتى تقوده إلى

---

(١) متفق عليه.

(٢) الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

الإسلام والاستسلام، إلى إسلام الوجه له سبحانه، وإلى الاستسلام الكلى لجلاله، إنها توجه إلى هذا وتقود إليه، وهو غايتها.

فتنزيه الله - وهو المعنى لسبحان الله - عن أن يكون فى حكمته إلا كل كمال وطهر وصفاء وسمو: إنما هو رضاء واستسلام لكل ما يأتى عنه من أفعال وأقوال هى الحق والخير والجمال.

وحمد لله على جميع النعم الظاهرة والباطنة، إنما هو إقرار بأن ما بالإنسان من نعمة ظاهرة أو باطنة فمن الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠].

﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

إن هذا الذى يتقلب فى نعم الله صباحًا ومساء، ليلاً ونهارًا، فيعرفها ويحمد الله عليها، لا يتأتى له - فى منطق الحق - إلا أن يسير نحو المنعم ويهاجر إليه مسلمًا مستسلمًا.

ولا إله إلا الله، خالصة من القلب، ترجح فى الميزان السماوات والأرض، لا يخيب قائلها مخلصًا.

إنها تحطيم للأصنام، واستعلاء على الدنايا، وتوجيه الوجه إلى الكمال المطلق: الله.

والله أكبر بلا موازنة، والله أكبر بلا مقارنة، والله أكبر بإطلاق، والله أكبر يقينًا لا شك فيه، والله أكبر علمًا لا جهل معه، والله أكبر هداية لا يشوبها ضلال، الله أكبر تقتضى: ففروا إلى الله.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم: تجريد وإخلاص، وتوجه كامل إلى صاحب الحول والقوة ائتمارًا بأمره، وانتهاء عما نهى.

والثمرة الكلية لهذه الكلمات المباركة، إنما هى إسلام واستسلام لله سبحانه، وهذا هو التدين، وهذا هو الإسلام الذى مثله رسول الله ﷺ، فى خضوعه لله وتبتله، وفى كفاحه فى سبيل الله ونضاله، وفى شجاعته فى الحق وتمسكه به، وفى

استعـلائه على الدنايا، وانغماسه فى الطهر، وفى عـمله ليلاً ونهاراً ليسيـر المجتمع، أفراداً وجماعات - على صراط الله المستقيم: عقيدة وخلقاً وتشريعاً.

إن هذه الكلمات المباركة: تصل بالمؤمنين المخلصين إلى أن يستجيبوا لله ورسوله، مجـاهدين فى سبـيل الله ورسوله، إنهـا تجردهم من الجبن، ومن التـملق، والرياء، والمداهنة، وتخلصـهم للحق والخير والـعمل، جنوداً فى سبـيل الخيـر والحق، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، لا يخشون فى الله لومة لائم.

ومن أجل ذلك وغيـره من ثمار زكية تؤدى إلـيها هذه الكلمات، كـان ما ترتب عليها من ثواب جزيل، ورضوان جم.

الصّلاة على النبّى

ومن الذكر الصلاة على خير المرسلين:

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

والصلاة على النبى: هى نفل الجزء الثانى من الركن الأول من أركان الإسلام، وهو شهادة أن محمدًا رسول الله.

ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«من صلى علىَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا»**(١).

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«أولى الناس بى يوم القيامة، أكثرهم علىَّ صلاة»**(٢).

وعن على ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«البخيل من ذكرت عنهد، فلم يصل علىَّ»**(٣).

أهمية الصلاة على الرسول ﷺ:

ونتبين أهمية الصلاة على الرسول ﷺ من الحديثين التاليين:

عن محمد بن يحيى بن حيان، عن أبيه، عن جده ﷺ، أن رجلاً قال: يا رسول الله، أجعل ثلث صلاتى عليك؟ قال: **«نعم، إن شئت»**. قال: الثلثين؟ قال: **«نعم، إن شئت»**. قال: فصلاتى كلها؟ قال رسول الله ﷺ: **«إذًا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وأخراك»**.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الترمذى، وقال: حسن.

(٣) رواه الترمذى، وقال: حسن صحيح.

وعن أبى بن كعب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: **«يأيها الناس: اذكروا الله، اذكـروا الله.. جاءت الراجفة، تتبعهـا الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه»**[١]. قال أبى بن كعب:

فقلت: يا رسول الله، إنى أكثر الصـلاة، فكم أجعل لك من صلاتى؟ قال: **«ما شئت»**. قال: قلت: الربع؟ قال: **«ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»**. قال: فقلت: فالثلث؟ قال: **«ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»**. قلت: النصف؟ قال: **«ما شئت، وإن زدت فهو خـير لك»**. قال: أجـعل لك صلاتى كلهـا؟ قال: **«إذًا يكفى همك، ويغفر لك ذنبك»**[٢].

وإذا كانت الصـلاة على رسول الله ﷺ، مطلوبة فى كل وقت، فإنه ﷺ، قد حث عليها فى يوم الجمعة بالذات، وهو يوم مبارك، فتزيده الصلاة على الرسول ﷺ بركة ونورًا.

وعن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثـروا من الصلاة علىَّ يوم الجـمعـة، فإنه مـشهـود تشـهده الملائكة، وإن أحـدًا لن يصلى علىَّ إلا عـرضت علىَّ صلاته حتى يـفرغ منها»**. قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: **«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»**[٣].

وعن أوس بن أوس ﷺ قـال: قال رسـول الله ﷺ: **«من أفـضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علىَّ من الصلاة فيـه، فإن صـلاتكم معـروضة علىَّ»**. قالوا: يا رسـول الله، وكيف تعـرض صلاتنا عليك وقد أرمت. «يعني بليت». فـقال: **«إن الله عز وجل، حـرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**[٤].

---

(١) رواه الطبرانى.

(٢) رواه أحمد والترمذى والحاكم.

(٣) رواه ابن ماجه بإسناد جيد.

(٤) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم.

ولقد تفنن الصالحون فى صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ، حتى إنه ليجد الإنسان ما لا يكاد يعد ولا يحصى من هذه الصيغ، وفيها النور، وفيها الإشراق والصفاء.

وبعضها خالص فى الصلاة قد تمحض لها، وبعضها تتجه تعبيراته إلى طلب من الله سبحانه، كشفاء المريض، أو قضاء الحاجة، أو انشراح الصدر. ونذكر الآن نماذج من هذه الصلوات.

وأول ما نذكر من ذلك هى ما أطلق عليها الصلاة الإبراهيمية: «اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم، فى العالمين، إنك حميد مجيد».

ومن صيغ الصلاة على النبى ﷺ، ما ذكره شيخنا فضيلة المرحوم الشيخ عبد الفتاح القاضى، الشاذلى طريقة، الشبلنجى مولداً وإقامة، وقد تلقاها تلقينا فى النوم: «اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك: عدد خلقك، ورضاء نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك».

وصيغة الشيخ الكبير العارف بالله، سيدى المتبولى، من أجمل الصيغ وأكملها وهى: «اللهم إنى أسألك بك أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين. وأن تغفر لى ما مضى، وتحفظنى فيما بقى».

والصيغة التى تلقيناها عن العارف بالله الشيخ محمد عبد المغنى، الذى تلقاها عن رسول الله ﷺ شفاها هى: «اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا، وكن بنا وبالمؤمنين رءوفًا رحيمًا»:

ومن الصيغ التى يرددها الصالحون كثيراً:

«اللهم صل على سيدنا محمد، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضى لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات، من جميع الخيرات فى الحياة، وبعد الممات»[1].

---

(١) هذه الصلاة واردة فى «الدلائل».

ومن الصيغ:

«اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى، وعلى آل محمد، صلاة تكون لنا رضاء، ولحقه أداء، واعطه الوسيلة، والمقام المحمود، الذى وعدته، وأجزه عنا، ما هو أهله، وأجزه أفضل ما جاريت نبيًّا عن أمته، وصل على جميع إخوانه من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين.

اللهم صل على محمد فى الأولين، وصل على محمد فى الآخرين، وصل على محمد إلى يوم الدين.

اللهم صل على روح محمد فى الأرواح، وصل على جسده فى الأجساد، وعلى قبره فى القبور، واجعل شرائف صلواتك، ونوامى بركاتك، ورأفة تحننك ورضوانك، على محمد عبدك ونبيك ورسولك وسلم تسليمًا كثيرًا»[١].

ومنها: «اللهم صل على سيدنا محمد الذى أشرقت به الظلم، اللهم صل على سيدنا محمد المبعوث بالرحمة لكل الأمم، اللهم صل على سيدنا محمد المختار للسيادة والرسالة قبل خلق اللوح والقلم، اللهم صل على سيدنا محمد الموصوف بأفضل الأخلاق والشيم. اللهم صل على سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم وخواص الحكم، اللهم صل على سيدنا محمد الذى كان لا تنتهك فى مجالسه الحرم، ولا يغضى عمن ظلم، اللهم صل على سيدنا محمد الذى كان إذا مشى تظلله الغمامة حيثما يمم، اللهم صل على سيدنا محمد الذى أثنى عليه رب العزة فى سالف القدم، اللهم صل على سيدنا محمد الذى صلى عليه الله فى محكم كتابه وأمرنا أن نصلى عليه ونسلم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ما انهلت الديم، وما جرت على المذنبين "أذيال الكرم، وسلم تسليمًا، وشرف وكرم»[٢].

---

(١) هذه الصلاة ذكرها الإمام العارف شهاب الدين أحمد السهروردى فى كتابه: «عوارف المعارف».

(٢) وهذه الصلاة الحافلة المتجلية هى لسيدى الفاكهانى، صاحب كتاب «الفخر المنير فى الصلاة على البشير النذير».

ومنها : «اللهم صل على سيدنا محـمد النبى الأمى، الطاهر الذكى، صلاة تحل بها العقد، وتفك بها الكروب»(١).

ومنها: «اللهم صل على سـيدنا محـمد السـابق للخلق نوره، ورحمـة للعالمين ظهوره، عـدد من مضى من خلقك ومن بقى، ومن سـعد منهم ومن شـقى، صلاة تستـغرق العد، وتحيـط بالحد، صلاة لا غاية لهـا، ولا منتهى، ولا انقضـاء، صلاة دائمة بدوامك، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا مثل ذلك»(٢).

ومنها: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، صلاة تكون لك رضاء، ولحقه أداء، وأعطه الوسيلة والمقام الذى وعدته»(٣).

«اللهم إنى أسألك بك، أن تصلى وتسلم على سـيدنا محمد وعلى سـائر الأنبياء والمرسلين، وآلهم وصحبهم أجمعين، وأن تغفر لى ما مضى، وتحفظنى فيما بقى»(٤).

وفى حديث فـضالة، أن النبى ﷺ قال: «إذا صلى أحـدكم فليبدأ بتحـميد ربه والثناء عليه، ثم يصلى على النبى، ثم يدعو بما شاء»(٥).

وبعد:

فإن الإمام الصاوى يشـرح قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فيقول: هذه الآية: فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات، وأفضل الخلق على الإطلاق، إذ الصلاة من الله على نبـيه رحمته المقـرونة بالتعظيم، ومن الله على

---

(١) هذه الصلاة ذكـرها الزبيدى فى مختـصر البخارى فى كـتابه «الصلات والعوائد» وقـال عنها بعض الصالحين: إنها مجربة فى تفريج الكرب.

(٢) ذكر شرح «الدلائل» أن سيدى عبد القادر الجيلانى ﵁ ختم بهذه الصلاة حزبه.

(٣) ورد عن هذه الصلاة كـما يقول الشـعرانى، أن النبى ﷺ قال: «من قالهـا فقـد وجبت له شفاعتى».

(٤) وهذه الصلاة لسيدى إبراهيم المتبولى.

(٥) رواه أحمد وصححه الترمذى: ابن حبان والحاكم.

غير النبى مطلق الرحمة.. لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فانظر الفرق بين الصلاتين، والفرق بين المقامين.

ثم يقول فى معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أى ادعوا له بما يليق به. وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبى ﷺ تشريفهم بذلك حيث اقتدوا بالله فى مطلق الصلاة، وإظهار تعظيمه ﷺ ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق، لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لهم، وحق على من وصلت له نعمة من شخص أن يكافئه، فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه.

واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبى ﷺ ثم اختلفوا فى تعيين الواجب:

فعند مالك: تجب الصلاة والسلام فى العمر مرة.

وعند الشافعى: تجب فى التشهد الأخير من كل فرض.

وعند غيرهما: تجب فى كل مجلس مرة.

وقيل: تجب عند ذكره.

وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد.

وبالجملة: فالصلاة على النبى أمرها عظيم، وفضلها جسيم، وهى من أفضل الطاعات، وأجل القربات، حتى قال بعض العارفين:

«إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها، لأنها تعرض عليه، ويصلى على المصلى، بخلاف غيرها من الأذكار، فلابد فيها من الشيخ العارف، وإلا دخلها الشيطان، ولم ينتفع صاحبها بها».

وفى الآية الجمع بين الصلاة والسلام. وصيغ الصلاة على النبى ﷺ كثيرة لا تحصى، وأفضلها: ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب، فمن تمسك بأى صيغة منها حصل له الخير العظيم»[١].

ويقول الشاعر العربى:

إذا كنت فى ضيق وهم وفاقة
وأمسيت مكروبًا وأصبحت فى حرج
فصل على المختار من آل هاشم
كثيرًا فإن الله يأتيك بالفرج

(١) حاشية الصاوى على الجلالين: جـ٣، (ص ٢٣٨، ٢٣٩).

٢ - فى الدُّعَاء

الفصل الأول

يا رب

الدعاء هو الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير، والابتهال إليه بالسؤال. وكل إنسان منا له حاجاته ومطالبه سلبًا وإيجابًا. إنه يواجه فى هذه الحياة أمورًا يرغب فيها، فيدعو الله أن يحققها له، وأمورًا يرهبها، فيدعو الله أن يصرفها عنه.

ولقد بين القرآن الكريم، والسنّة النبوية الشريفة، وأئمتنا الصالحون، متناسقين مع كتاب الله وسنة رسوله - الوسائل التى تؤدى بالإنسان إلى أن يكون بمعزل عن الشر، وإلى أن يكون دائمًا فى مرضاة الله سبحانه، يجيبه إذا طلب، ويعيذه إذا استعاذ. إن الله سبحانه يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ويقول عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وبين رسول الله ﷺ الطريق الذى إذا سار فيـه المؤمن انتهى به إلى حب الله له، يستجيب له إذا دعا، ويجيبه إذا سأل.

أخرج الإمـام البخـارى ﵀، أن رسول الله ﷺ قال فيـما رواه عن ربه: «من عادى لى وليًا فقـد آذنته بالحرب، ومـا تقرب إلىّ عبـدى بشىء أحبّ إلىّ من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع بـه، وبصره الذى يبصـر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التـى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه».

وفى جانب المعصية - وأنها سـبب للشقاء والحوارث تصيب الإنسان - يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

ويقول سبـحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

ويقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

ويقول رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيـده: ما من خدش عود، ولا عـثرة قدم، ولا اختلاج عرق - إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»[١].

---

(١) رواه الطبرى وابن عساكر.

إن هذا الحديث الشريف يرسم أصلاً من أصول التربية الإلهية، والتربية الإلهية لا تسير فى مبادئها فوضى لا تحكمها قاعدة، أو تسير فى مبادئها مصادفة لا تخضع لقانون، كلا! وإنما هى قواعد ذات مقدمات ونتائج، لقانون، كلا! وإنما هى قواعد ذات مقدمات ونتائج، والحديث الشريف يدل على أن جزاء الشرِّ شرٌّ، وأن آلام الإنسان ومصائبه إنما هى ثمار آثامه ومعاصيه.

وما من شك فى أن الله سبحانه يعفو عن الكثير: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

وإذا كان الله سبحانه يعفو عن الكثير تفضلاً منه وكرمًا، وإذا كان سبحانه رءوفًا بعباده رحيمًا بهم - فإنه يحذرنا نفسه، ويقول مثلاً فى جريمة من الجرائم التى حذر منها أكثر من مرة في القرآن الكريم، وهى موالاة أعداء الله: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ورسول الله ﷺ يحذرنا أيضًا من عاقبة الظلم، فيقول فيما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى موسى رضي الله عنه: «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته».

ولن يحول دون عقاب الله على العاصى حائل من نسب أو جاه أو ثروة، فهذا نوح عليه السلام يشفع فى ابنه، فيقول بعاطفة الأب الفطرية: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

ويرد الله سبحانه على نوح وهو نبيه ورسوله قائلاً: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] فعمل السَّيئ فصل ما بينه وبين أبيه من صلة.

ثم يقول الله سبحانه وتعالى معلمًا ومربيًا: ﴿فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

ويضرب الله مثلاً للذين كفروا بامرأتين هما امرأة نوح، وامرأة لوط فيقول: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا

صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

لقد أغرق الله ابن نوح، ودمَّر امرأة نوح غرقًا، ودمَّر امرأة لوط بالخسف.

أما قارون: فإنه أعلن الانفصال عن الله، وأراد أن يقوم بنفسه، وجحد كل نعمة لله عليه وفضل، وأعلن - فى تبجح سافر وفى كبرياء - أن الفضل فيما يتمتع به من نعمة يرجع إليه هو قائلاً عن ثرائه العريض: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [القصص: ٧٨].

وكانت نتيجة ذلك ما عبر الله عنه بقول: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

روى الترمذى أن النبى ﷺ قال: «لا تصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر» ثم قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وإذا أصلح الإنسان ما بينه وبين الله، تولاه الله برعايته، ويبدأ الصلح مع الله بأن يتجنب الإنسان نزغات الشيطان، يقول سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ومعنى النزغ فى هذه الآية الكريمة: وسوسة الشيطان بالسر على أى وضع كان، والملجأ فى أمثال هذه الحالات إنما هو الاستعاذة بالله، فهو سبحانه وتعالى السميع العليم.

ولقد ورد فى معنى هذه الآية الكريمة آيات أخرى فى القرآن يقول تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [غافر: ١٩٩، ٢٠٠].

ويقول سبحانه: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨].

ولقد روى الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل، فاستفتح صلاته وكبر قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك

اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»، ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: من همزه، ونفخه، ونفثه».

لقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم مع أنه ليس للشيطان عليه من سبيل، ومع أنه قد استخرج حظ الشيطان من قلبه الشريف، منذ البواكير الأولى من حياته حين شق جبريل عليه السلام عن صدره واستخرج حظ الشيطان منه، وما هذه الاستعاذة منه ﷺ إلا امتثالا لأمر الله تعالى حين قال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

ورسول الله ﷺ، يتبع أوامر الله سبحانه فى اليسير منها، والعظيم، ومادام الله قد أمر بالاستعاذة من الشيطان، فهو صلوات الله وسلامه عليه، يستعيذ منه مع عصمته ﷺ من أن يتأثر بالشيطان، كما كان رسول الله ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه فى اليوم سبعين مرة، أو أكثر من ذلك، مع عصمته من الذنوب.

واستعاذته ﷺ، وتوبته إنما هما نوع من العبادة، والله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب هؤلاء الذين يلجئون إليه فى كل آونة، ويرجعون إليه فى كل أمر.

أما فيما يتعلق باستعاذة المؤمن من الشيطان، فإنها لا تكون بمجرد ألفاظ تخرج من الشفاه لا تتجاوزها، وإنما هى جهاد من المؤمن متتابع يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح.

والواقع أن التوبة إذا كانت خالصة نصوحًا فإنها تكون بمثابة إتيان ملكين يشقان عن صدر الإنسان، ويستخرجان حظ الشيطان منه، والواقع أيضًا أن التوبة إنما هى اللبنة الأولى فى سبيل القرب من الله، وفى طريق البعد عن الشيطان، ومن أجل ذلك اعتبرها سادتنا الصوفية، واعتبرها الصالحون - على مر العصور - الخطوة التى لا مناص من تنفيذها إذا أراد الإنسان أن يصطلح على الله سبحانه. ولأهميتها الكبرى فى الطريق إلى الله حث الله عليها بشتى الوسائل، وفتح بابها على مصراعيه:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

روى النسائى من حديث معاذ بن جبل، قال: استب رجلان عند النبى ﷺ، فغضب أحدهماغضبًا شديدًا، حتى تخيل إلى أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه، فقال النبى ﷺ: **«إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب»**، فقال معاذ: ما هى يا رسول الله؟ قال: يقول: **« اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم»**.

وإذا ما تجنب الإنسان نزغات الشيطان، فإن من علامة صدقه فى ذلك أن يستقيم. عن أبى عمرو سفيان بن عبد الله - فيما رواه الإمام مسلم - قال: قلت: يا رسول الله، قل لى فى الإسلام قولا، لا أسأل عنه أحدًا غيرك.

قال ﷺ: **«قل آمنت بالله ثم استقم»**.

وهذا الحديث الشريف من جوامع الكلم، وهو يصور الدستور الدينى، ويرسم الطريق واضحة لمن يتطلعون إلى الهداية والأساس الأول، الأساس الذى بدونه لا يكون الإنسان من المهتدين ولا من المفلحين: إنما هو الإيمان، وكل عمل بدون إيمان لا يكون إلا هباءً منثورًا. يقول الله تعالى فى ذلك: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾** [الفرقان: ٢١-٢٣].

إن الله سبحانه لا يتقبل عملا من غير مؤمن، ومع الإيمان الاستقامة، والاستقامة هى: لزوم طاعة الله تعالى، إنها لزوم طاعته فيما أمر. يقول الله تعالى لرسوله الكريم: **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾** [هود: ١١٢].

وأوامر الله سبحانه وتعالى: تمثل الخلق الكريم، أسمى ما يكون الخلق، وتمثل العقيدة الحقة التى لا حق وراءها فى عالم الغيب أو عالم الشهادة، وتمثل التشريع صورة صادقة لنفع المجتمع وصلاحه.

والاستقامة إذن لا تتأتى إلا إذا توفر الاتباع الصادق فى العقيدة، وفى الأخلاق، وفى التشريع.

بيد أن الحديث عن الاستقامة إنما يتجه عادة إلى الجانب الأخلاقى فى الإنسان.

ومما لا شك فيه، أن الاستقامة تتنافى مع الرياء، على أى وضع كان الرياء، بل إن الرياء يحبط العمل مهما تسمى هذا العمل باسم من أسماء الخير.

وتتنافى الاستقامة مع الغش بجميع ألوانه. ولقد أخرج الرسول، ﷺ ، الغاش عن دائرةالأمة الإسلامية فقال ﷺ : «**من غشنا فليس منا**».

وتتنافى الاستقامة مع جميع ألوان الشر، فإن الله سبحانه حينما يبين أن الاستقامة طريقها وحقيقتها ومظهرها اتباع الأوامر يقول: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ [هود: ١١٢].

ويقول سبحانه عن أوامره: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [الأعراف: ٢٨].

والفحش كله - وهو الشر بوجه عام - خارج عن دائرة الاستقامة، والمستقيم بعيد عنه.

وبعد: فإنه لو عرف الناس جزاء المستقيم، وتيقنوا منه، وآمنوا به: لما تخلى عن الاستقامة إلا من كان فى عقله دخل، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٣].

والآية عامة مطلقة: أى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الدنيا، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الآخرة.

إنهم آمنون بحفظ الله على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وهم آمنون بوعد الله فى الآخرة، فإن الله سبحانه يختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٤].

والمؤمنون إذا استقاموا فقد حققوا الوسائل التى طلبها الله منهم ليستخلفهم فى الأرض، وليمكنهم فيها، يقول سبحانه: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور: ٥٥].

وإذا تحققت الخلافـة للمؤمنين فى الأرض، وإذا مكَّن الله لهم دينهم، وإذا بَدّلهم من بعد خوفهم أمنًا، فإنه سبحانه يكون قد حقق لهم الرغبات، وأزال عنهم الخوف، واستجاب دعاءهم.

هذه مقدمة لها تفصيلها فيما يلى إن شاء الله تعالى.

الفصل الثانى

الدعاء: أنوار وأضواء

فضل الدعاء:

عن أبى هريرة رضي الله عنه - فيما أخرجه الإمام أحمد والترمذى - عن النبى ﷺ، قال: **«ليس شىء أكرم على الله من الدعاء»**.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض»**[1].

وعن النعمان بن بشير، رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر: ٦٠][2].

وروى عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله، ﷺ قال: **«الدعاء مُخُّ العبادة»**. رواه الترمذى.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله تعالى إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعةرحم»**. فقال رجل من القوم: «إذًا نكثر» قال: «الله أكثر». رواه الترمذى، والحاكم.

وعن أبى هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل فى مسألة إلا أعطاها إياه: إما أن يعجلها له، وإما أن يدخرها له فى الآخرة»**[3].

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، ورواه أبو يعلى من حديث على.

(٢) رواه أبو داود، والترمذى، وقال حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد رضي الله عنه.

وعن جابر بن عبد الله، ﷺ عن النبى ﷺ قال: «يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه، فيقول: عبدى إنى أمرتك أن تدعونى، ووعدتك أن أستجيب لك، فهل كنت تدعونى؟ فيقول: نعم يا رب.

فيقول: أما إنك لم تدعنى بدعوة إلا استجبت لك، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟

فيقول: نعم يا رب.

فيقول: إنى عجلتها لك فى الدنيا.

ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجًا؟

قال: نعم يا رب.

فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا.

ودعوتنى فى حاجة أن أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها؟

فيقول: نعم يا رب.

فيقول: إنى عجلتها لك فى الدنيا.

ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها؟

فيقول: نعم يا رب.

فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا».

قال رسول الله، ﷺ: «فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له: إما أن يكون عجل له فى الدنيا، وإما أن يكون ادخر له فى الآخرة، قال: فيقول المؤمن فى ذلك المقام: يا ليته لم يكن عجل له شىء من دعائه»[(١)].

وعن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت

(١) رواه الحاكم.

ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»(٢).

طلب الدعاء:

يقول الله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وعن أبي صالح - فيما أخرجه ابن ماجه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه».

(١) رواه أحمد والحاكم.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وعن عبد الله - فيما أخرجه الترمذى - قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج».

وعن أبى ذر رضي الله عنه، عن النبى ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا.

يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم.

يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم.

يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم.

يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفرونى أغفر لكم.

يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى.

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئًا.

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئًا.

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله عز وجل، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1].

الدعاء والقضاء:

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه»[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم.

وعن سلمان الفارسى رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر**»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يغنى حذر من قدر، ولادعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة**»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئًا - يعنى: أحب إليه - من أن يسأل العافية. وقال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»[٣].

ويقول الإمام الغزالى: فإن قلت: ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له؟

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يعتلجان، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى ألا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

وألا تُسقى الأرض بعد بث البذر، فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول.

وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر، فالذى قدر الخير قدره لسبب، والذى قدر الشر قدر لدفعه سببًا، فلا تناقض فى هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته. ا. هـ.

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه البزار والطبرانى والحاكم.

(٣) رواه الترمذى والحاكم.

ثمرة الدعاء:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تعجزوا فى الدعاء، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد**»(١).

وعن أبى سعيد الخدرى، ﷺ، أن النبى ﷺ قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**».

قالوا: إذًا نكثر؟

قال: «الله أكثر»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**»(٣).

استجابة الدعاء:

عن سليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله حىٌّ كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**»(٤).

فإذا أردت الاستجابة فابدأ:

١ - بالتوبة الخالصة النصوح.

٢ - وتحر الحلال.

فعن ابن عباس، فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه قال: تليت هذه الآية عند النبى، ﷺ : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا**﴾ [البقرة: ١٦٨] فقام سعد

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم.

(٢) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى، والحاكم.

(٣) رواه أبو داود والترمذى والحاكم.

(٤) رواه أبو داود والترمذى، وحسنه.

ابن أبى وقاص فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة. فقال: «يا سعد، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يومًا، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به».

ويقول الشاذلى ﷺ: إذا أردت أن يستجاب لك أسرع من لمح البصر فعليك بخمسة أشياء:

١ - الامتثال للأمر. ٢ - والاجتناب للنهى.

٣ - وتطهير السر. ٤ - وجمع الهمة.

٥ - والاضطرار.

وخذ ذلك من قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

فالمحروم من يدعوه وقلبه مشغول بغيره.

فاحذر هذا الباب جدًا، فإن لم تستطع أن تتصف بخمسة الأشياء، فعليك بالخلوة عن الناس، واذكر ما شاء الله من قبائحك وأفعالك، واحتقر جميع أعمالك، وقدم إليه ماعلمته من جميل ستره عليك وقل:

«يا الله يا منان يا كريم، ياذا الفضل، من لهذا العبد العاصى غيرك وقد عجز عن النهوض إلى مرضاتك، وقطعته الشهوة عن الدخول فى طاعتك، ولم يبق له حبل يتمسك به سوى توحيدك، وكيف يجترئ على السؤال من هو معرض عنك، أم كيف لا يسأل من هو محتاج إليك، وقد مننت علىّ الآن بالسؤال منك، وجعلت حسبى الرجاء فيك، فلا تردنى خائبًا من رحمتك يا كريم، وقد جعلت لأسمائك حرمة، فمن دعاك بها لا يشرك بك شيئًا أجبته، فبحرمة أسمائك يا الله يا ملك يا قدوس، يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر، يا خالق يا برئ يامصور، قنى من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل والشك وسوء الظن، وضلع الدين،

وغلبتـه، وقهر الرجال، فـإن لك الأسماء الحـسنى، وقد سبح لك ما فى السـموات والأرض، وأنت العزيز الحكيم.

اللهم إنى أسألك خـيرات الدنيا وخـيرات الدين، خيـرات الدنيا بالأمن والرفق والصحـة والعافيـة، وخيرات الدين بالطاعـة لك والتوكل عليك. والرضا بقـضائك والشكرعلى آلائك ونعمك إنك على كل شىء قدير» ا.هـ.

وروى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يزال يستجاب للـعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعـة رحم، ما لم يستـعجل»**. قيل: يا رسـول الله، ما الاستعـجال؟ قال: **«يقـول: قد دعوت، وقـد دعوت فلم أر يـستجيب لى، فيـستـحسـر عند ذلك ويدع الدعاء»**(١).

الدعاء فى الرخاء:

عن أبى هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله، ﷺ قال: **«من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء فى الرخاء»**(٢).

دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب:

عن أبى الدرداء رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل»**(٣).

وعنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل: آمين ولك بمثل»**(٤).

وعن صفوان بن عبد الله - فيمـا رواه الإمام مسلم - قال: قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء فى منزله، فلم أجده، ووجدت أم الدرداء فقالت: أتريد الحج العام؟

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذى والحاكم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

فقلت: نعم.

فقالت: ادع لنا بخير، فإن رسول الله ﷺ كان يقول: «**دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب**[١] **مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل: آمين ولك بمثل**».

قال: فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء، فقال لى مثل ذلك يرويه عن النبى ﷺ.

ثلاثة لا ترد دعوتهم:

روى الترمذى وحسنه أن النبى ﷺ قال: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين**».

دعوات مستجابات:

روى الإمام أحمد والترمذى وحسنه، أن النبى ﷺ قال: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم**».

العزم فى الدعاء:

وعن أبى هريرة - فيما رواه الإمام مسلم - قال: قال النبى ﷺ: «**لا يقولن أحدكم، اللهم اغفر لى إن شئت، اللهم ارحمنى إن شئت، ليعزم فى الدعاء، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له**».

مسح الوجه باليدين بعد رفعهما فى الدعاء:

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فيما رواه الترمذى - قال: «**كان رسول الله ﷺ**، إذا رفع يديه فى الدعاء لم يخطهما حتى يمسح بهما وجهه».

أوقات الدعاء وأماكنه:

الدعاء يصح فى كل وقت، بيد أن هناك أوقاتًا وأماكن أرجى فى قبول الدعاء من

---

(١) أى فى حالة غيبة أخيه.

غيرها. وقد ذكر رسول الله ﷺ، أوقاتًا للدعاء منها: ثلث الليل الأخير. يقول صلوات الله وسلامه عليه: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟**» رواه البخارى.

ولقد سئل رسول الله ﷺ، عن : أى الدعاء أسمع؟ فقال: «**جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبة**». رواه الترمذى وحسنه.

وروى مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء**».

ونقل البيهقى فى السنن الكبرى عن الإمام الشافعى، أنه قال: بلغنا أنه كان يقال: «إن الدعاء يستجاب فى خمس ليال، فى ليلة الجمعة، وليلة الأضحى، وليلة الفطر، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان».

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ساعتان لا ترد على داع دعوته: حين تقام الصلاة، وفى الصف فى سبيل الله**» رواه ابن حبان فى صحيحه.

أما الأماكن الطاهرة المباركة فإن أشرفها الحرم المكى والحرم المدنى، والمسجد الأقصى.

ويذكر الإمام الغزالى آدابًا للدعاء منها: أن يترصد الداعى لدعائه الأوقات الشريفة: كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، قال تعالى: ﴿**وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ [الذاريات: ١٨].

وقال ﷺ: «**ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول عز وجل: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟**»[١].

ومنها أن يغتنم الأحوال الشريفة، قال أبو هريرة ﷺ: «إن أبواب السماء تفتح

---

(١) رواه الشيخان.

عند زحف الصفوف فى سبيل الله، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة، فاغتنموا الدعاء فيها».

وقال مجاهد: «إن الصلاة جعلت فى خير الساعات، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات».

وقال ﷺ: **«الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد»**(١).

وقال ﷺ أيضًا: **«الصائم لا ترد دعوته»**(٢).

ويتابع الإمام الغزالى حديثه فيقول: وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضًا، إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه، وفراغه من المشوشات. ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وقت اجتماع الهمم، وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل.

فهذا أحد أسباب شرف الأوقات، سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها، وحالة السجود أيضًا أجدر بالإجابة، قال أبو هريرة ﷺ: قال النبى ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء»**(٣).

وروى ابن عباس ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: **«إنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا، وساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فقمن أن يستجاب لكم»**(٤).

---

(١) رواه الحاكم وصححه.
(٢) رواه الترمذى وحسنه.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

الفصل الثالث

من أجواء الدعاء

الجو الآدمى

ونريد بالجو الآدمى: جو سيدنا آدم.. ونعنى بذلك: «جو التوبة».

لقد قال الله سبحانه وتعالى لآدم: ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

وأباح الله لهما أن يستمتعا فيها بما شاءا، من روح وريحان، ومن فاكهة وأزهار.. وضمن الله له ألاَّ يجوع فيها ولا يعرى: أى لا يتألم باطنه بالجوع.. ولا ظاهره بالعرى.. وضمن له أن لا يظمأ فيها ولا يضحى: أى لا يتألم من حر الظمأ فى الباطن، ولا من حر الشمس على ظاهره..

ولكن الله سبحانه وتعالى حدد لهما شجرة معينة، وأمرهما ألاَّ يقرباها.

وما من شك فى أن عالم الإطلاق، إنما هو عالم الألوهية.. أما عالم الإنسان فإنه عالم الحدود والقيود..

بيد أن حدود الإنسان الدينية، وتكاليفه التى أوجبها الله عليه، إنما هى حدود من أجل رقيه وكماله.. وكلما التزم الإنسان ما أحبه الله منه، كلما كان سائرًا نحو الكمال والصفاء والطهر.

وأنه لمن المعروف أن آدم وهو سائر على ما أحب الله من الامتناع عن الأكل من الشجرة، كان ينعم هو وزوجته، بطمأنينة النفس، وراحة البال، وهدوء الضمير، كما ينعم بذلك أصحاب الضمائر النقية، والسرائر الصافية.

لقد كان يقضى حياته ناعمًا بسعادة البراءة، وسكينة الأطهار مع رفيقة حياته..

وأصحاب هذه الحيـاة - حياة البراءة - لا يرون عورة، ولا يحسـون بالخجل يغمرهم من أجل سيئة.

أترى الطفل يحس بذلك؟

إنهم وهم فى براءة الأطفال، لا يشـعرون بخزى، ولا ينوء ضميـرهم بتأنيب.. وكان آدم وحواء على ذلك. حتى وسـوس إليهما إبليس.. لقد وسوس إليـهما حتى يخرجهما عن براءة الطـهر، ونقاء العصمة، فيريا ما لم يكن قـد أتيح لهما رؤيته من الشر والقبح، والعـورات والسوءات.. وحتى يشعرا بما لم يتأتّ لهـما الشعور به من قبل، من تأنيب ومن شقاء بالمعصية..

وإن صاحب السيرة السـيئة معنى أبدًا بأن يجر الآخرين إلـى مستواه.. وأن ينزل بهم إلى حضيضه، وأن يهوى بهم إلى مزالقه..

لقد وسـوس إليهـما الشـيطان آتيًا من جـانب الضعف فى الإنسـان، وهو حب الخلود، وحب الملك، وقال لهـما متـسائلاً مسـتفسـراً متجـهًا لآدم: هل أدلك على شجـرة الخلد وملك لا يبلى؟.. وأتى لهـما فى صورة الـناصح، وأقسم لهـما على إخلاصه وصدقه ونصحه، فصدّقاه.

صدقاه أولاً لأنهما فى براءتهـما اعتقدا إخلاصه ونصحه، وصدقـاه لأن ميولهما كانت إلى الخلود والملك، كميول الأفراد من بنى جنسهم..

وأكلا من الشـجرة المنهى عنها، وزالت عنهـما مبـاشرة براءة العصـمة، وسكينة الطهر.. وأحسا مباشرة بشقاء المعصية، وعذاب الإثم..

ويقول الله تعالى مـعبرًا عن ذلك: **﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾** [الأعراف: ٢٢].

وكان هذا أول نجاح لإبليس فى عالم الإنسان.. بيـد أن نجاحه انقلب إخفاقًا.. وإذا كان قد فرح بنجاحه، فإن فرحه لم يطل.

لقد حل بآدم وحـواء الشقاء بسبب أكلهـما من الشجرة - وأخـذ آدم يجرى فى

الجنة من مكان إلى مكان بائسًا حزينًا . . وهو أينما حل يسمع النداء الإلهى يتردد فى جنبات الجنة، ويخترق أذنيه رهيبًا مدويًا: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

ويجرى آدم فى الجنة، وتتعلق بشعره الأشجار أو يتعلق شعره بها. . ولكنه يسمع النداء الإلهى من جديد: «**أفرارًا منى يا آدم؟**». فيقول فى خجل وحزن: «بل حياءً منك يا رب».

لقد شقى آدم بالمعصية، وكذلك يشقى كل عاص بسبب ما اقترف من الإثم. .

روى الترمذى أن النبى ﷺ قال: « **لاتصيب عبدًا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب.. وما يعفو الله عنه أكثر، ثم قرأ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾** [الشورى: ٣٠]».

وروى الطبرى وابن عساكر أن النبى ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده.. ما من خدش، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب.. وما يعفو الله عنه أكثر**».

ومن الرموز الجميلة فى قصة آدم، ما رواه ابن عساكر عن مجاهد قال: «أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره. . فنزع جبريل التاج عن رأسه، وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه. . وتعلق غصن، فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة. . فنكس رأسه يقول: العفو، العفو. . فقال الله: أفرارًا منى؟. . قال: بل حياء منك يا سيدى. .

ولجأ آدم إلى الله مستغفرًا، نادمًا، منيبًا. . فلما كان كذلك تاب الله عليه. .

يقول سبحانه: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

أما هذه الكلمات التى اتجه بها آدم إلى الله، فكانت نتيجتها توبة الله عليه، فهى: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقد رويت فى ذلك كلمات لا تخرج عن هذا المعنى، منها ما قاله مجاهد:

«الكلمات هى: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك. . رب إنى ظلمت

نفسى فاغـفر لى إنك خير الراحـمين. . اللهم لا إله إلا أنت سبحـانك وبحمدك. . رب إنى ظلمت نفسى فتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم».

لقد كانت النتيجة لالتجاء آدم إلى الله هى ما عبر الله عنه بقوله: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢].

وإنه لقانون إسـلامى عام، أن من ارتكب المعصيـة ثم رجع إلى الله فى إخلاص وصدق، فإن الله سبحانه وتعالى يفتح له أبواب توبته.

جو نوح عليه السلام

ونقصد بجو نوح عليه السلام: جو الاستغفار وجو الشكر.

لقد أخذ سيدنا نوح يدعو إلى التوحيد، فى همة لا تفتر، وفى نشاط لا يتوانى، أخذ يدعو ليلاً ونهارًا، وأخذ يدعو جهرًا حينما تتيح له الظروف الدعوة الجهرية، ويدعو سرًّا حينما يستلزم الأمر الدعوة سرًّا..

لم يكن يدع فرصة تمر إلا ويشرح فيها رسالة الله: مبشرًا ونذيرًا، مرغبًا فى ثواب الله وجنته، ومخوفًا من عقابه وعذابه..

لقد أخذ يشرح لهم قدرته، وشمول علمه، قائلاً:

ألا ترون أنه خلقكم فى بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق.. لقد كنتم ترابًا، ثم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم كنتم أجنة.. وكنتم فى جميع هذه الأطوار فى رعاية الله.. محفوظين بحفظه، محاطين بعنايته.. وبعد ذلك كنتم أطفالاً، فشبابًا، وهكذا.. وستعودون إليه من جديد فى أية لحظة شاء.. فارجعوا إليه بالتوبة والإنابة والطاعة، قبل أن تواجهوه وهو عنكم غير راض.. ثم ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقًا، وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجًا؟.. ثم ألم تروا كيف جعل لكم الأرض بساطًا، وجعل لكم فيها مسالك وسبلاً للإقامة والانتفاع؟.. وفى كل ذلك ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت..

وأخذ سيدنا نوح يعدد نعم الله، منبهًا إلى اليسير منها والعظيم، الظاهر منها والباطن.. ونعم الله كثيرة لا تحصى..

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨].

ثم أعلن لهم قانون «الاستغفار».. وسيدنا نوح أول من أعلن هذا القانون:

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠].

هذه هى مقدمة القانون.. أو قاعدته وأساسه.

فإذا مـا كان الاستغـفار الخالص النصـوح. . إذا ما كان الالتـجاء إلى الله بطلب المغفرة فى صدق كانت النتيجة. .

والنتيـجة هى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١١]. . أى ينزل الغيث المحيى لأرضكم الجدباء، والذى يملأ أنهاركم الجارية بالخير والنماء. .

وماذا يترتب على الاستغفار أيضًا؟. .

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٢].

إن الإمداد بالأموال والبنين - وقد أتى بهما القـرآن بصيغة الجمع - مترتب على الاستغفار. .

وإن هبة الجنات والأنهار - وقد أتى بهما القرآن بصيغة الجمع أيضًا - مترتبة على الاستغفار. .

هذا هو قانون الاستغفار الذى أعلنه سيدنا نوح عليه السلام.

وهذا القانون قانون عام لا يحدده زمن ولا يحده مكان. . فمن التجأ إلى الله فى العصر الحاضر بالاستغفار الخالص النصوح الصادق. . فإن الله سبحانه يهيىء له من الظروف ما يجعله يعيش فى سعة من الرزق، وفى يسار من المال. .

إنه وعـد الله الـذى أوحـاه إلى رسـوله نـوح ليـعلنه للـناس. . ووعـد الله لا يتخلف. .

ولقد أوضح رسولنا ﷺ - فيما بعد - زاوية مهمة من زوايا قانون الاستغفار. . وهى عدم وقوع العذاب على المستـغفر. . يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

سارت سفينة نوح - باسم الله مجريها ومـرساها. . وسارت فى موج كالجبال. . ترافقها عناية الله فى سيرها. . فلم يحدث لها ما يسىء. .

ولقد كانت عناية الله ورعـايته ترافق نوحًا فى كل خطواته. . ففى صـنع السفينة

يقول الله تعالى له: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].. أى على مرأى منا، وبإرشادنا فى كل الخطوات.. فعناية الله كانت ترافقه فى بناء السفينة..

ويقول الله سبحانه وتعالى عن سير السفينة: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].. أى أن سيرها كان فى مجال الرعاية الإلهية، والملاحظة الربانية.. ولم تترك السفينة للعواصف تلعب بها، ولا للأعاصير تدمرها..

هذه الرعاية والعناية كان يرافقها ويقابلها من نوح عليه السلام وصفان، ذكرهما الله سبحانه وتعالي بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

لقد حقق نوح عليه السلام العبودية لله سبحانه.. والعبودية لله سبحانه أشرف ما يوصف به الإنسان بالنسبة لله سبحانه.. وإن من حققها فقد حقق الهدف الذى من أجله خلق الله الإنسان.. بل الجان.. يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].. أى ليتحققوا بالعبودية.. فإذا ما تحققوا بها كفاهم الله كل ما أهمهم..

ألا ترى إلى التعبير القرآنى كيف استعمل كلمة «عبد».. وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

لقد تحقق نوح عليه السلام بالعبودية لله..

ومن أجمل مظاهر العبودية الشكر لله تعالى.

ولم يكن نوح عليه السلام عبدًا شاكرًا، وإنما كان عبدًا شكورًا.. ذلك أن الشكور أبلغ فى الشكر من الشاكر.. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

ولقد كان من مظاهر شكر نوح لله سبحانه وتعالى كثرة صيامه..

روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: **«صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحى.. وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر.. صام الدهر، وأفطر الدهر»**.

ومـعنى قـول الرسـول ﷺ عن إبراهيم عليه السلام: «**صـام الدهر وأفطر الدهر**».. أنه مادامت الحسنة بعشر أمثالها، فصوم يوم إنما هو بمثابة صوم عشرة أيام.. وصوم ثلاثة أيام من كل شهر إنما هو بمثابة صوم كل الشهر.. فكأن إبراهيم عليه السلام قد صام الدهر كله..

ومع ذلك: فإنه لم يصم من كل شهـر إلا ثلاثة أيام.. وهى أيام قليلة فكأنه قد أفطر الدهر كله..

ولقد كافـأ الله نوحًا بحسن عبادته، وكـثرة صيامه وشكره، فأنجـاه ومن معه فى السفينة.

جو التسبيح أو الجو اليونسى

إن الله سبحانه وتعالى حدثنا فى القرآن عن جـو التسبيح.. وإن المسبّح لله سبحانه وتعالى يحظى بعناية الله به، فيخرجه سبحانه من الضيق، ويفرج عنه الكرب..

والمسألة واضحة كل الوضوح فيما يتعلق بذى النون عليه السلام ..

روى الإمام البخارى أن رسول الله ﷺ قال: **«لا ينبغى لأحد أن يقـول: أنا خير من يونس بن متّى»**..

ويونس بن متى، هو صاحب الدعوة المشـهورة التى يقول عنها رسول الله ﷺ: **«لم يدع مسلم ربه فى شىء قط إلا استجاب له»**.

وهذه الدعوة هى: ﴿**لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وهى دعوة تبدأ بالتوحيد الخاص، يتمثل فى قوله تعالى: ﴿**لا إله إلا أنت**﴾.

وتثنى بالتنزيه.. تنزيه الله عن كل مـا يتنافى مع الكمال.. وذلك يتمـثل فى قوله «سبحانك».. ثم تنتهى بالاعتراف الخاشع المتمثل فى قوله: ﴿**إنى كنت من الظالمين**﴾.

وهذه الكلمات القليلة التى يتـمثل فيهـا الإيجاز المعجز فى اللفظ، والتـى يتمثل فـيهـا السمـو السامـى فى المعنى.. لا تطلب شيـئًـا فى صراحـة، ولا تنادى بشىء بأسلوب مباشر.. ولكنها مع ذلك مفعمة بالطلب، مفعمة بالاستغاثة..

لقد دعا بها سيدنا يونس وهو فى بطن الحوت، ويحسن أن نبدأ القصة من أولها:

لقد أرسل الله سـيدنا يونس عليه السلام إلى أهل «نينوى» من أرض الموصل.. وكان سيدنا يونس – ككل الأنبياء – متحمسًا لدعوته. قائمًا بها فى الصباح والمساء، وكلما استطاع إلى ذلك سبيلاً.. ومتخذًا لها كل الوسائل التى فى إمكانه لتنتشر وتعم..

ولكن قومـه قابلوا تحمـسه بفتـور، وقابلوا دعوته إلـى الإيمان بالكفر الأصم.. وقابلوا عنايته بعناد لا يلين..

وإذا كان سيدنا نوح - فى مثل هذا الموقف الذى لا بارقة من أمل فى إصلاحه - دعا على قومه قائلاً: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

فإن سيدنا يونس رأى أن لا فائدة فى المكث بينهم، فأنذرهم بحلول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام، وخرج من بينهم معلنًا أنه يخرج من أجل النجاة من عذاب الله، الذى يوشك أن يحل بهم لكفرهم وطغيانهم..

وغادر المدينة متعمدًا أن يكون ذلك على مرأى ومشهد من أهلها..

وما إن فارقهم نبي الله، حتى بدأ الخوف، بل الرعب، يدب إلى قلوبهم، ويتغلغل فى نفوسهم..

ولقد أخذت ذاكرتهم فى إلقاء الضوء على صدقه وأمانته، وعلى فضائله ومكارم أخلاقه، وعلى أنه لم يعهد عليه الكذب ولا الخديعة.. وترجح عندهم صدقه.. ثم أيقنوا بهذا الصدق، وتأكدوا أن العذاب لا محالة نازل بهم.. وأخذ خيالهم يصور لهم العذاب وألوانه وفجائعه، فاجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم، وانتهوا إلى اتفاق عام.. هذا الاتفاق العام صوره أسلافنا فى صورة أخاذة، يرويها الإمام ابن كثير على الوضع التالى:

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف:

فلما خرج من بين ظهرانيهم، وتحققوا نزول العذاب بهم.. قذف الله فى قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم.. فلبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها.. ثم عجوا إلى الله عز وجل وصرخوا، وتقربوا إليه، وتمسكنوا لديه.. وبكى الرجال والنساء، والبنون والبنات والأمهات.. وجأرت الأنعام والدواب والمواشى، ورغت الإبل وفصلانها.. وخارت البقر وأولادها.. وثغت الغنم وحملانها.. وكانت ساعة عظيمة هائلة..

وهذه هى الصورة التى رسمها أسلافنا - فماذا كان من أمره، وماذا كان بعد أمرهم؟..

فارق يونس عليه السلام قومه، بعد أن أنذرهم بعذاب مدمر. . فتضرعوا إلى الله - سبحانه - بالتوبة والإنابة والاستغفار، مقدمين بين يدى ذلك كله الإيمان الصادق. . فكانت ثمرة ذلك نجاتهم التي صورها الله بقوله: ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

وهذا الذى صنعه الله بهم، يساير نواميس الله سبحانه التى سنها نظامًا عامًّا للبشرية، وهى أن عذاب الله سبحانه ينزل على الأفراد أو على المجتمعات بنسبة بعدهم عن الإيمان، وأن رحمته تغمر الأفراد والمجتمعات بنسبة قربهم من الإيمان. . والنجاة دائمًا مكفولة فى نواميس الله للمؤمنين الصادقين. .

أما يونس عليه السلام فإنه لما ضاق بقومه ذرعًا، فارقهم مغاضبًا منذرًا بالعذاب. .

ولم تكن هذه المفارقة عن استئذان من الله سبحانه، أو عن أمر منه. . وإنما ظن هو أن هذا فى شريعة الله، أوسع من أن يحتاج إلى إذن، وأنه غير مضيق عليه من قبل الله فى المكث أو فى المفارقة. . أى أنه فى مجال المباح.

وعزب عن ذهنه فى ساعة مغاضبته لقومه، أن المفارقة بدون استئذان إذا جازت بالنسبة للأفراد العاديين، فإنه لا تجوز بالنسبة لمن يصطفيهم الله للعبودية الخالصة، ومن يجتبيهم مرسلين من قبله. .

إن هؤلاء لا يتحركون إلا به، ولا يسكنون إلا عن أمره. . وهم فى كل ما يأتون وما يدعون، قد ألقوا بمقاليد أمورهم بين يديه، يصرفهم حسبما يشاء.

ولعل ذلك هو ما تعنيه الكلمة القرآنية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]. .

وصاحب الحوت هو سيدنا يونس الذى لم يصبر على كفر قومه وعنادهم، ففارقهم عن غير إذن من الله. . فكان من تقدير الله سبحانه أن وصل يونس عليه السلام إلى شاطئ البحر، وركب مركبًا مشحونًا ثقيل الحمولة. . وهبت ريح جعلت المركب على حافة الغرق بمن فيها. . فكان لابد من تخفيف حمولتها حتى يستقيم أمرها. .

واستهم الركاب على من يلقون به فى البحر تخفيفًا للحمولة، فوقعت القرعة على يونس ﷺ فألقوه فى البحر..

ولما ألقوه فى البحر، ابتلعه حوت كبير.. وفجأة رأى سيدنا يونس نفسه فى بطن الحوت.. فأسرع مستغيثًا: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

روى يزيد الرقاشى قال: سمعت أنس بن مالك - ولا أعلم إلا أن أنسًا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ - يقول: «إن يونس النبى ﷺ حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت، قال: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك إنى كنت من الظالمين.. فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش.. فقالت الملائكة: يا رب!.. صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة.. فقال: أما تعرفون ذاك؟ .. قالوا: لا.. يارب.. ومن هو؟.. قال: عبدى يونس.. قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يُرفع له عمل متقبَّل، ودعوة مجابة؟.. قال: بلى.. قالوا: يا ربنا!.. أو لا ترحم ما كان يصنعه فى الرخاء، فتنجيه من البلاء؟.. قال: بلى.. فأمر الحوت فطرحه فى العراء».

أما إذا انتفى التسبيح

وقصة أخرى قصها الله سبحانه فى كتابه الكريم، هى قصة أصحاب الجنة.. وجنتهم هى - كما يقول الإمام الصاوى - بستان باليمن يقال له الصروان دون صنعاء بفرسخين.. وكان صاحبه ينادى الفقراء وقت الجذاذ[1]، ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع، أو ألقته الريح، أو بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخل.. وكان يجتمع لهم من ذلك شىء كثير.. فلما مات ورثه بنوه، وكانوا ثلاثة.. وشحوا بذلك.. وقالوا: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، ونحن ذو عيال.. فحلفوا على أن يجذوه قبل الشمس حتى لا تأتى الفقراء إلا بعد فراغهم.. وكانت قصتهم بعد عيسى ابن مريم بزمن يسير..

لقد أقسموا على قطع ثمارها فى الصباح الباكر، كيلا يشعر بهم أحد.. وقبل الصباح الباكر.. طاف عليها طائف من ربك فجعلها كالليل الشديد الظلمة.. فلما رأوها قالوا إنا لضالون مكانها، فليست هذه جنتنا.. ولكنها جنتهم وليس فيها ثمر ناضج.. وكان قولهم: بل نحن محرومون من ثمارها بمنعنا الفقراء منها..

فقال أوسطهم - وهذا هو ما نريد أن ننبه إليه - ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨].

ولو كانوا قد أطاعوه وسبحوا الله سبحانه وتعالى، لرقت قلوبهم فامتنعواعما جال فى أذهانهم من منع الفقراء وحرمانهم، فنجوا من الفقر، ونجت حديقتهم من الدمار..

والتسبيح - فضلاً عن ذلك - سبب فى الرضا والسكينة.. رضا النفس وسكينتها.. يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

على أنه قد وردت الآثارأن التسبيح من العناصر التى هى من أسباب الرزق..

---

(١) أى الحصاد.

عن سليمان بن يسار رضي الله عنه عن رجل من الأنصار، أن النبى ﷺ قال: قال نوح لابنه:

«إنى موصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها.. أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين.. أما اللتان أوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالح خلقه.. وهما يكثران الولوج على الأرض.. أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما، ولو كانتا فى كفة وزنتهما.. وأوصيك بسبحان الله وبحمده، فإنهما صلاة الخلق، وبهما يرزق الخلق.. وإن من شىء إلا يسبِّح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، إنه كان حليمًا غفوراً..

وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خلقه: أنهاك عن الشر والكبر»[1].

---

(١) النسائى والبزار وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

الفصل الرابع

دعاء الأطهار

من دعاء الأطهار: الملائكة

والأطهار الذين نعنيهم: هم الأنبياء والرسل، وهم الملائكة، وهم الصديقون، وهم المقربون على وجه العموم..

ونأخذ من بين هؤلاء:

أولاً: الملائكة:

إنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

وهم على هذا الوضع من المعصومين، وطبيعتهم الجسمانية من النور..

روى الإمام مسلم، عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«خلقت الملائكة من نور»**.

أما عن عملهم، فإن الله سبحانه أقامهم فى أعمال يقومون بها، ويتصرفون فيها بإذنه، فمنهم حملة العرش.. ومن الطريف أن حملة العرش مع قيامهم بمهمتهم، فإنهم لا يفترون عن التسبيح بحمد ربهم.. «ويؤمنون به» أى يترقى إيمانهم به فى كل لحظة تمر بسبب تسبيحهم بحمده المستمر.. ولا ريب أن الذكر سواء كان من الملائكة أم من بنى البشر، قد جعله الله سبحانه سببًا فى زيادة الإيمان ورقيه..

ثم إن حملة العرش هؤلاء - فضلاً عن كل ذلك - يستغفرون للذين آمنوا من بنى البشر ومن غيرهم.. ومن الطريف أنهم يعللون طلبهم للمغفرة، بأن الله سبحانه قد وسعت رحمته كل شىء.. ووسع علمه كل شىء.. ويلجأون إلى الله بالدعاء،

والضراعة.. طالبين منه المغفرة لكل من تاب، واتبع الطريق الذى بينه الله ليسير فيه المؤمنون، ويلجأون إلى الله أيضًا بالضراعة، طالبين منه سبحانه أن يجنب التائبين المتبعين طريق الهدى، عذاب جهنم.. وأن يدخلهم جنات عدن التى وعدهم، وأن يقيهم السيئات..

والآيات القرآنية التى ذكرت ذلك فى غاية الجمال أسلوبًا ومعنى.. يقول تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧-٩].

وإذا تأملنا فى هذا الدعاء، فإننا نرى الدقة البالغة فى كل كلمة فيه: إنهم يسبحون بحمد ربهم على نعمه الجزيلة التى منحهم إياها.. وأسمى هذه النعم.. هذه الطبيعة المعصومة التى لا تغضب الله قط.. إنهم باستمرار فى مرضاة من الله سبحانه..

وهم يستغفرون للذين آمنوا.. إنهم لا يستغفرون لأهل الشرك، ولا للملاحدة، ولا للكفار على وجه العموم..

ويلجأون فى هذا الاستغفار إلى الله تعالى بذكر صفة من صفاته، هى الرحمة.. ثم يخصصون الذين تابوا من بين المؤمنين.. ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾ [غافر: ٧].

وقد يتوب الإنسان، وينتكس مباشرة.. إنهم ينفون فى استغفارهم هذا الفريق.. وإنما يستغفرون للذين صدقوا فى توبتهم..

وإذا صدقت التوبة استتبعت العمل: «واتبعوا سبيلك»..

ولم يطلبوا المغفرة فحسب، وإنما سألوا أن يقيهم الله سبحانه وتعالى عذاب الجحيم.. وليس ذلك فقط.. وإنما كان رجاؤهم فى الله سبحانه وتعالى أن يدخلهم

جنات عدن التى وعدهم، وأن يدخل معهم من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم. . وكلمة «صلح» هنا لها مغزاها فى المقام أيضًا:

إنهم لم يسألوا الله سبحانه أن يدخل الجنة الآباء والأزواج والذريات على أى وضع كان، وإنما خصصوا من صلح منهم. . ثم سألوا الله سبحانه - فى النهاية - أن يقى هؤلاء الذين تابوا واتبعوا سبيل الله، ومن صلح من أقربائهم معهم. . أن يقيهم السيئات فى مستقبل حياتهم.

وتختتم الآيات بقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩].

ثانيًا: وعلى نمط دعاء الملائكة يتحدث القرآن عن سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويذكر أنه كان من دعائه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

ويذكر رسول الله ﷺ ويأمره قائلا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

ويتحدث عن طائفة من المؤمنين، فيذكر أن من دعائهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

ثالثًا: ولقد وجه الرسول ﷺ المؤمنين إلى أن يدعو بعضهم لبعض بظهر الغيب:

فعن أبى الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل»**(١).

وعنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة.. عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين.. ولك بمثل»**(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

من دعاء الأطهار: الدعاء فى القرآن الكريم

سورة الفاتحة:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝١٢٤ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝١٢٥ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٤-١٢٦].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ

أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

سورة آل عمران:

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢، ٥٣].

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

سورة النساء:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

سورة المائدة:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

سورة الأعراف:

﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧].

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

سورة يونس:

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا

لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

سورة هود:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

سورة يوسف:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

سورة إبراهيم:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

سورة الكهف:

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

سورة طه:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨].

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

سورة الأنبياء:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

سورة المؤمنون:

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٦].

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

سورة الفرقان:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

سورة الشعراء:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٩].

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

سورة النمل:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

سورة القصص:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

سورة العنكبوت:

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

سورة ص:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

سورة غافر:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٨].

﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٩].

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

سورة الدخان:

﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ [الدخان: ١٢].

سورة الأحقاف:

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

سورة النجم:

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: ٥٨].

سورة الحشر:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

سورة الممتحنة:

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥].

سورة التحريم:

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١].

سورة نوح:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٨].

سورة الفلق:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥].

سورة الناس:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦].

من دعاء الأطهار: الدعاء من السنة

استفتاح الدعاء، واسم الله الأعظم:

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: «اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد.. الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد».. فقال: **«لقد سألت الله بالاسم الأعظم، الذى إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب»**(١).

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمع النبى ﷺ رجلا وهو يقول: «ياذا الجلال والإكرام». فقال: **«قد استجيب لك فسل»**(٢).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: مر النبى ﷺ بأبى عياش زيد بن الصامت الزُّرَقى، وهو يصلى، وهو يقول: «اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، يا حنان، يا منان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حى، يا قيوم».

---

(١) رواه الترمذى وحسنه.. وقال الحافظ أبو الحسن المقدسى إسناده لا مطعن فيه ولم يرد فى هذا الباب حديث أجود منه إسنادًا.

(٢) رواه الترمذى وحسنه.

فقـال رسول الله ﷺ : «لقد سـألت الله باسمه الأعـظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى»(١).

وعن سعـد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: قـال رسول الله «دعوة ذى النـون إذ دعاه وهو فى بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.. فإنه لم يدع بها مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له»(٢).

وعن أسماء بنت يزيد - فيما أخرجه الـترمذى وقال عنه حديث حسن صحيح - أن النبى ﷺ قال: «اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وفاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢].

القلوب بيد الله:

عن عـبد الله بـن عمـرو بن العـاص رضي الله عنهما قـال: قال رسـول الله ﷺ : «اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك»(٣).

وعن شهـر بن حَوْشب قـال: قلت لأم سلمة رضي الله عنها: «يا أم المؤمنين!.. مـا كان أكثر دعـاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟».. قـالت: كان أكثـر دعائه: «يا مقلِّب القلوب، ثبت قلبى على دينك»(٤).

وإذا أسلم الرجل:

أخرج الإمام مـسلم، عن أبى مالك الأشجعى قال: كـان الرجل إذا أسلم علَّمه النبى ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعـو بهؤلاء الكلمات: «اللهم اغفـر لي وارحمنى، واهدنى وعافنى وارزقنى».

وفى رواية أخرى عنه: أنه سمع النبى ﷺ ، وأتاه رجل، فقال: يا رسـول الله، كيف أقول حين أسأل ربى؟

---

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذى وقال: حسن.

قال: قل: «**اللهم اغفر لى وارحمنى، وعافنى وارزقنى - ويجمع أصابعه إلا الإبهام - فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**».

وفيما أخرجه الترمذى وحسنه، عن عمران بن حُصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبى: **يا حصين، كم تعبد اليوم إلها؟..**».

قال: سبعة.. ستًا فى الأرض، وواحدًا فى السماء..

قال: «**فأيهم الذى يُعد لرهبتك ورغبتك؟**»..

قال: الذى فى السماء.

قال: «**يا حصين!.. أما إنَّك لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك**».

قال: فلما أسلم حُصين قال: يا رسول الله.. علمنى الكلمتين اللتين وعدتنى.

فقال: «**قل: اللهم ألهمنى رشدى، وأعذنى من شر نفسى**».

سلوا الله العافية:

عن أبى الفضل العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قلت يا رسول الله! علمنى شيئًا أسأله الله تعالى؟.. قال: «**سلوا الله العافية**».

فمكثت أيامًا ثم جئت، فقلت: يا رسول الله! علمنى شيئًا أسأله الله تعالى؟.. قال لى: «**يا عباس يا عم رسول الله.. سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة**»[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله.. أى الدعاء أفضل؟.. قال: «**سل ربَّك العافية فى الدنيا والآخرة**». ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال: يا رسول الله!.. أى الدعاء أفضل؟.. فقال له مثل ذلك.. ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال مثل ذلك.. فقال له: «**إذا أعطيت العافية فى الدنيا وأعطيتها فى الآخرة، فقد أفلحت**»[٢].

---

(١) الترمذى وقال حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد والترمذى.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة»**. . قالوا فماذا تقول يا رسول الله؟. . قال: **«سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة»**[١].

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لم يكن رسول الله ﷺ، يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسى: **«اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى، وأهلى ومالى. اللهم استر عوراتى، وآمن روعاتى، واحفظنى من بين يدى، ومن خلفى، وعن يمينى، وعن شمالى، ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى.. قال: يعنى الخسف»**[٢].

وسمع رسول الله ﷺ، رجلا. . وهو يقول: «اللهم إنى أسألك الصبر. . فقال ﷺ: **«سألت الله البلاء فاسأله العافية»**[٣].

ومن أجل هذه التوجيهات النبوية الكريمة فى مسألة العافية، أثبت أبو الحسن الشاذلى فى حزبه الكبير، هذه الصيغة: «اللهم إنا نسألك إيمانًا دائمًا، ونسألك قلبًا خاشعًا، ونسألك علمًا نافعًا، ونسألك يقينًا صادقًا، ونسألك دينًا قيمًا، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس».

فى الصباح والمساء:

أخرج البخارى عن حذيفة بن اليمان ﷺ أن النبى ﷺ كان إذا استيقظ - وفى رواية: إذا أصبح - قال: **«الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»**[٤].

وعن عبد الرحمن بن أبزى أن النبى ﷺ كان إذا أصبح يقول: **«أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم، حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين»**[٥].

---

(١) الترمذى وقال حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه.

(٣) الترمذى وقال حسن.

(٤) البخارى ورواه ابن السنى بنحوه.

(٥) ابن السنى ورواه البخارى بنحوه ورواه أحمد والطبرانى.

وفى المساء يقول كما يقول فى الصباح، مع تغيير كلمة «أصبحنا» بكلمة «أمسينا». وكان يقول: «**رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولا**». وروى ابن السنى عن أبى الدرداء ؓ عن النبى ﷺ قال: «**من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسى: حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، سبع مرات، كفاه الله تعالى ما همه من أمر الدنيا والآخرة**».

وروى الترمذى حديثًا حسنا صحيحًا عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يمسى وإذا أصبح: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، ومحمد ﷺ نبيًا، كان حقًا على الله أن يرضيه**».

وروى الترمذى حديثًا حسنًا صحيحًا، عن أبى هريرة، أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ: مرنى شىء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: «**قل: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شىء ومليكه.. أشهد أن لا إله إلا أنت.. أعوذ بك من شر نفسى، وشر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءًا على أنفسنا أو نجره على مسلم. قله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**».

وأخرج البخارى عن شداد بن أوس الأنصارى ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ، وأبوء بذنبى فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**». «**من قالها فى أول النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة - ومن قالها من الليل موقنًا بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة**».

وفيما أخرجه البخارى عن حذيفة بن اليمان ؓ قال: كان النبى ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «**باسمك اللهم أحيا وأموت**».

عند النوم:

عن حذيفة ؓ أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: «**اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك**»(١).

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه.. ثم يقول: باسمك ربى وضعت جنبى، وبك أرفعه.. إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(١).

وقال شداد بن أوس لرجل من بنى حنظلة: ألا أعلمك ما كان رسول الله ﷺ يعلمنا أن نقول: «اللهم إنى أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك.. وأسألك لسانًا صادقًا وقلبًا سليمًا، وأعوذ بك من شر ما تعلم.. وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم، إنك أنت علام الغيوب». قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يأخذ مضجعه، فيقرأ سورة من كتاب الله عز وجل، إلا وكل الله عز وجل به ملكًا، فلا يقربه شىء يؤذيه حتى يهب متى هب».

دعاء يقال عند الكرب من أجل الفرج:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم.. لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم»(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حى يا قيوم - برحمتك أستغيث»(٣).

وروى أبو داود - فى سننه - عن أبى بكر، أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، لا إله إلا أنت»(٤).

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) الترمذى وابن السنى.
(٤) ابن السنى..

عند الوجع :

إذا وجدت وجعًا فى جسدك، فضع يدك على الذى يتألم من جسدك، وقل: «باسم الله» ثلاثا . . وقل سبع مرات: «أعوذ بعزة الله وقدرته.. من شر ما أجد وأحاذر»[١].

«باسم الله: أذهب الباس، رب الناس!.. واشف أنت الشافى.. لا شفاء إلا شفاؤك.. شفاء لا يغادر سقمًا»[٢].

إذا اشتد به الوجع ولم يقدر على الصبر: «اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى: وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى»[٣].

وإذا رمدت عينه: «اللهم متعنى بسمعى وبصرى، واجعله الوارث منى.. وأرنى فى العدو ثأرى، وانصرنى على من ظلمنى»[٤].

عند زيارة المريض :

«أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يشفيك ويعافيك».

«شفى الله سقمك، وغفر لك ذنبك، وعافاك فى دينك وجسمك، إلى مدة أجلك».

«اللهم اشف عبدك، ينكأ لك عدوًّا، أو يمشى لك فى صلاة». فإن كان مريضًا بالحمى، قال له: «كفارة وطهور»[٥].

عند اشتداد الهم :

«اللهم إنى عبدك، وابن عبدك وابن أمتك. . ناصيتى بيدك، ماض فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك. . أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك،

---

(١) أخرجه الترمذى.

(٢) رواه ابن السنى وغيره.

(٣) أخرج الشيخان عن ابن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لابد فاعلا، فليقل: اللهم أحينى إلخ..».

(٤) ابن السنى.

(٥) روى ذلك ابن السنى.

أو علمتـه أحدًا من خلقك، أو استـأثرت به فى علم الغيب عندك: أن تجـعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء غمى، وذهاب حزنى وهمى».

قال ﷺ: **«ما أصـاب أحدًا حزن، فقـال ذلك.. إلا أذهب الله همه، وأبدله مكانه فرحًا..»**. فقيل: يا رسول الله!.. أفلا نتعلمها؟

فقال ﷺ: **«بل ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها»**(١).

إذا أصبت بمصيبة:

عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعـون.. اللهم عندك أحتسب مصيبـتى فأجرنى فيها، وأبدلنى بـها خيراً منها»**(٢).

إذا استعصيت أمرًا:

«اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا.. وأنت تجعل الحزن(٣) إذا شئت سهلا».

إذا عسرت المعيشة:

«باسم الله على نفسى ومالى: اللهم ارضنى بقضائك، وبارك لى فيما قدر لى.. حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت»(٤).

وإذا سمعت بوفاة أحد:

«إنا لله وإنا إليـه راجعون، وإنا إلى ربنـا لمنقلبون.. اللهم اكـتبه فـى المحسنين، واجعل كتابه فى عليين، واخلفه على عقبه فى الغابرين.. اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله»(٥).

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أبو داود والحاكم والترمذى وابن ماجه.

(٣) الحزن: الصعب.

(٤) ابن السنى.

(٥) ابن السنى.

وإذا خفت قوماً، فقل:

«اللهم إنا نجعلك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»[١].

وإذا رأيت شيئًا تكرهه:

ليس التشاؤم من الإسلام فى شىء، ومع ذلك.. فإنه إذا رأى الإنسان ما يكره على أى وضع كان، فليقل - كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ -: **«اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت.. لا حول ولا قوة إلا بالله»**[٢].

وليقل: «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير، إلا خيرك، ولا إله غيرك».

وإذا هبت الريح:

«اللهم إنى أسألك خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به.. ونعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلَت به»[٣].

ويقول: **«لقحاء[٤] لا عقيمًا»**[٥].

«اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسلت به»[٦].

إذا رأى سحابًا مقبلا: **«اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسلَت به»**[٧].

إذا سمع الرعد والصواعق: **«اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»**[٨].

«سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته»[٩].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقى فى الشعب.

(٢) رواه ابن السنى.

(٣) الترمذى وقال حسن صحيح، وابن السنى، والنسائى.

(٤) أى حاملة للمطر نافعة.

(٥) رواه ابن السخا وابن حبان والحاكم.

(٦) رواه ابن السنى والطبرانى.

(٧) ابن السنى.

(٨) ابن السنى بإسناد حسن وأحمد والترمذى والحاكم.

(٩) رواه مالك موقوفًا على ابن الزبير.

إذا رأى المطر: «**اللهم اجعله صيبًا نافعًا**»[١].

إذا اشتد الحر: «**اللهم أجرنى من حر جهنم**»[٢].

عند الفزع فى النوم:

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن النبى ﷺ قال: «**إذا فزع أحدكم فى النوم، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون، فإنها لن تضره**»[٣].

قال: وكان عبد الله بن عمرو يلقنها من بلغ من ولده.. ومن لم يبلغ منهم كتبها فى صك، ثم علقها فى عنقه».

للحفظ فى المكان:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله!.. ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة.. قال: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق. لم يضرك شىء**»[٤].

وعن خَولة بنت حكيم السلَمية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**إذا نزل أحدكم منزلا، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق.. فإنه لا يضره شىء حتى يرتحل عَنه**»[٥].

عند دخول المنزل:

روى الإمام مسلم، عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله تعالى عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت**

---

(١) رواه البخارى والنسائى.

(٢) ابن السنى.

(٣) الإمام أحمد والترمذى.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

ولا عشاء.. وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت.. فإذا لم يذكر الله تعالى، عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء».

ومن الأدعية عند الدخول:

«اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى.. إنك أنت الغفور الرحيم».

عند الخروج من المنزل:

روى أبو داود، عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**من قال - يعنى إذا** خرج من بيته - **باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. يقال له: كُفيت، ووُقيت، وهُديت.. وتنحى عنه الشيطان.. فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى».**

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «**باسم الله، توكلت على الله.. اللهم إنى أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِل أو أُزَلَّ، أو أَظلم أو أُظلَم، أو أجهَل أو يُجهل عَلَىَّ**»[١].

إذا دخل المسجد:

«اللهم افتح لى أبواب رحمتك»[٢].

إذا خرج من المسجد:

«اللهم إنى أسألك من فضلك»[٣].

عند رؤية ما يسره:

عن أنس رضي الله عنه فيما رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ما يسره، قال: «**الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات**».

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه ابن السنى.

عند رؤية ما يسوءه:

وكان ﷺ إذا رأى ما يسوءه، قال: «**الحمد لله على كل حال**»..

أما النصيحة القرآنية، لكل من رأى ما يسره من أهله أو ماله، فهى أن يقول: «**ما شاء الله، لا قوة إلا بالله**»..

وهذه الكلمة القرآنية الكريمة، من خصائصها المنع من الحسد، ومن خصائصها الحفظ والزيادة..

عند الشروع في أمر:

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥، ٢٦].

عند دخول السوق:

روى الحاكم بإسناد - قال عنه إنه صحيح على شرط الشيخين - أن السنة عند دخول السوق، أن يقول الإنسان: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حى لا يموت، بيده الخير وهوعلى كل شيء قدير**».

وعند الخروج من السوق:

«**باسم الله!.. اللهم إنى أسألك من خير هذه السوق، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شر هذه السوق وشر ما فيها.. وأعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة، أو صفقة خاسرة**»[١].

عند شراء دابة أو استعمال خادم:

«**اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبل عليه.. وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه**»[٢]..

---

(١) رواه الطبرانى والحاكم وابن السنى.

(٢) رواه ابن السنى.

فإذا لبست ثوبا جديدا:

روى الترمذي - بإسناد حسن - عن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد.. أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له**». .

عند النظر إلى السماء:

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

عند القيام من المجلس:

روى عن رسول الله ﷺ بإسناد حسن أن كفارة المجلس أن يقول الإنسان عند القيام: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**».

وفيما رواه الترمذى وحسنه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قلَّ ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.. ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعل الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على أعدائنا، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**»(١).

عند رؤية الهلال:

«**اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربى وربك الله**»(٢).

عند السفر:

عن علىٍّ بن عبد الله الأزدى رضي الله عنه فيما أخرجه الإمام مسلم أن ابن عمر رضي الله عنهما، علَّمهم أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر، كبر ثلاثًا ثم قال: «**سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى.. اللهم هون علينا سفرنا**

---

(١) رواه الترمذى والحاكم عن ابن عمر.

(٢) رواه ابن السنى والطبرانى بنحوه.

هذا واطو بعده.. اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل.. اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد..».

وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون».

ومن أدعية المسافر:

«اللهم بك انتشرت، وإليك توجهت، وبك اعتصمت - اللهم أنت ثقتى ورجائى.. اللهم اكفنى ما أهمنى، ومالا أهتم به، وما أنت أعلم به منى، وزودنى التقوى، واغفر ذنبى، ووجهنى إلى الخير»[١].

ما يقوله إذا أتى قرية يريد دخولها:

«اللهم رب السموات السبع وما أظللن.. ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين.. فإنى أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها، وخير أهلها.. ونعوذ بك من شرها ومن شر أهلها، ومن شر ما فيها»[٢].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أشرف على أرض يريد دخولها قال: «اللهم إنى أسألك من خير هذه القرية وخير ما جمعت فيها.. وأعوذ بك من شرها وشر ما جمعت فيها.. اللهم ارزقنا جناها، وأعذنا من وباها، وحببنا إلى أهلها، وحبب صالح أهلها إلينا».

إذا ركب سفينة:

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وعندما يودع شخصًا:

كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»[٣].

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذى وقال: حسن صحيح وأحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم.

وقال النبى ﷺ : «**اللهم ازو له الأرض، وهون عليه السفر**».

عن أنس أن رجلا أتى النبىَّ ﷺ فقال: يا رسول الله.. إنى أريد سفراً فزودنى. قال: «**زودك الله بالتقوى**». قال: زدنى. قال: «**وغفر لك ذنبك**». قال: زدنى. قال: «**ووجهك للخير حيثما كنت**»(١).

الجوامع من الدعاء:

عن عائشة ؓ قالت: كان رسول الله ﷺ، يستَحِبُّ الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك(٢).

من جوامع الدعاء:

عن أبى أمامة ؓ قال: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا، قلنا: يا رسول الله، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا؟ فقال: ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول:

«**اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»(٣).

وعنه ؓ، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر**»(٤).

وروى الحاكم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء؟**».

قالوا: نعم يا رسول الله.

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن.

(٢) رواه أبو داود بإسناد جيد.

(٣) رواه الترمذى وقال حسن.

(٤) رواه مسلم.

قال: **«قولوا: اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار»**(١).

وعن عمران بن الحصين ﷺ، أن النبى ﷺ علم أباه حصينًا كلمتين يدعو بهما: **«اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى»**(٢).

وأخرج الترمذي وحسنه عن قطبة بن مالك ﷺ قال: كان النبى ﷺ يقول: **«اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»**.

وعن عائشة ﷺ أن النبى ﷺ كان يقول فى دعائه: **«اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل»**(٣).

وروى الإمام مسلم ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها»**.

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **«تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء»**.

وفيما أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ أنه كان يقول: **«اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»**.

وفيما أخرجه الإمام مسلم ﷺ أن السيدة عائشة ﷺ سُئلت عن دعاء كان يدعو به رسول الله ﷺ قالت: كان يقول: **«اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل»**.

وعن على بن أبى طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«قل: اللهم اهدنى وسددنى»**.

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه الترمذى وقال: حسن.

(٣) رواه مسلم.

وفى رواية: «قل: اللهم إنى أسألك الهدى والسداد، وأذكر بالهدى هدايتك الطريق، وبالسداد سداد السهم».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت. وبك آمنت. وعليك توكلت. وإليك أنبت. وبك خاصمت. وإليك حاكمت. فاغفر لى ما قدمت وما أخرت. لا إله إلا أنت». زاد بعض الرواة: «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وروى الشيخان بسندهما عن أبى موسى عبد الله بن قيس رضي الله عنه عن النبى ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى. اللهم اغفر لي جدى وهزلى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى. اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير».

وأخرج الترمذى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: علمنى رسول الله ﷺ قال: قل: «اللهم اجعل سريرتى خيراً من علانيتى واجعل علانيتى صالحة، اللهم إنى أسألك من صالح ما تؤتى الناس من المال والأهل والولد غير الضال ولا المضل».

وفيما أخرجه الإمام مسلم رضي الله عنه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك وجميع سخطك».

دعاء عرفة:

روى الترمذي بسنده أن النبى ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير».

وعن على رضي الله عنه قال: أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة فى الموقف: «اللهم لك الحمد كالذى نقول، وخيراً مما نقول، لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى، وإليك مآبى، ولك رب تراثى.. اللهم أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح».

وقد روى أيضًا أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. اللهم اجعل في بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي قلبي نوراً.. اللهم اشرح لي صدري، ويسر لي أمري.. اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر، وشتات الأمر، وفتنة القبر، وشر ما يلج في الليل، وشر ما يلج في النهار، وشر ما تهب به الرياح، ومن شر بوائق الدهر».

ومن دعاء يوم عرفة أيضًا، قوله ﷺ: «اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري. أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المعترف بذنبه. أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذل لك جسده، ورغم لك أنفه.. اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيًّا، وكن بي رءوفًا رحيمًا.. يا خير المسئولين، وأكرم المعطين».

ما يجمع بين الدنيا والآخرة:

عن طارق أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله!.. كيف أقول حين أسأل ربي؟.. قال: قل: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»[1].

من أقامهن دخل الجنة:

فيما أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال:

كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدَوي النحل، فأنزل عليه يومًا، فمكثنا عنده ساعة، فسرى عنه، فاستقبل القبلة، ورفع يديه، وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا».

ثم قال ﷺ: «أنزلت علي عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة». ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

(١) رواه مسلم.

مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١٠].

لا تدعوا على أنفسكم:

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»(١).

صلاة الاستخارة ودعاؤها:

أخرج الإمام أحمد، والإمام البخارى، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يعلّمنا الاستخارة فى الأمور كلها. كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاِم الغيوب.. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال: عاجل أمرى وآجله - فاقدره ويسره لى ثم بارك لى فيه.. اللهم وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال: عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به». ويسمى حاجته.

صلاة الحاجة ودعاؤها:

يقول الإمام الدهلوى: والأصل فيها أن الابتغاء من الناس وطلب الحاجة منهم مظنة أن يرى إعانة ما من غير الله تعالى، فيخل بتوحيد الاستعانة، فشرع لهم صلاة ودعاء، ليدفع عنهم هذا الشر، ويصير وقوع الحاجة مؤيدًا له فيما هو بسبيله من الإحسان.

---

(١) رواه مسلم.

فسن لـهـم أن يركعوا ركـعتين، ثم يثـنوا على الله، ويصلوا على النبى ﷺ، ثم يقولوا: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سـبحان الله رب العرش العظيـم، والحمد لله رب العالمين. . أسألك موجبات[1] رحمتك، وعزائم[2] مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامـة من كل إثم. . لا تدع لى ذنبًـا إلا غفرته، ولاهمـا إلا فرجـته، ولا حاجة هى لك رضًا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين»[3].

التوسل برسول الله ﷺ:

أخرج التـرمذى فى حديث حسن صـحيح عن عثمـان بن حنيف ﷺ أن رجلا ضريرًا أتى النبى ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافينى. . قال: «**إن شئت دعوة، وإن شئت صبرت فهو خير لك؟**».

قال: فادعـه. . قال: «**فأمـره أن يتوضأ فـيحسـن وضوءه، ويدعو بهـذا الدعاء: اللهم إنى أسألك وأتوجـه إليك بنبيك محـمد نبى الرحمـة، يا محمـد.. إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى.. اللهم فشفعه فى**».

من دعاء الأطهار: الذكر والدعاء بغير المأثور

ويصح الذكـر والدعاء بغيـر المأثور. والأحاديث التـالية دليل على ذلـك جانبى الذكر والدعاء.

عن أنس ﷺ قال: كنت مع رسول الله ﷺ، جالسًا فى الحلقة، إذ جاء رجل فسلم على رسول الله ﷺ والقـوم، فقال: السـلام عليكم ورحـمة الله فـرد رسول الله ﷺ: «**وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته**». فلما جلس الرجل قال: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًـا مباركًـا فيه، كـما يحب ربنا أن يحمـد وينبغى له، فقـال له رسول الله ﷺ: «**كيف قلت؟**» فرد عليه كما قال، فقال النبى ﷺ: «**والذى نفسى بيده، قد ابتدرها**

(١) أى الأعمال التى توجب لى رحمتك.
(٢) الأفعال التى تتأكد بها مغفرتك.
(٣) الدعاوى جـ٢ ص٤٥٤.

عشرة أملاك، كلهم حريص على أن يكتبها، فما دَرَوْا كيف يكتبونها حتى رفعوها إلى ذى العزة، فقال: اكتبوها كما قال عبدى». رواه أحمد، ورواته ثقات، والنسائى وابن حبان فى صحيحه إلا أنهما قالا: «كما يحب ربنا ويرضى».

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيما رواه الإمام أحمد، وابن ماجه أن رسول الله ﷺ حدثهم: «أن عبدًا من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. فعضَّلَت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى السماء، فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها. قال الله، وهو أعلم بما قال عبده، ماذا قال عبدى؟ قالا: يا رب إنه قال: يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها».

وقد أخرج أبو داود بسند جيد عن بعض الصحابة. أن النبى قال لرجل: «كيف تقول فى الصلاة؟».

قال الرجل: «أتشهد ثم أقول اللهم إنى أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار». ثم قال الرجل للرسول ﷺ: أما إنى لا أحسن دندنتك [أى نص قولك فى الدعاء] ولا دندنة معاذ. فقال النبى ﷺ: «حول ذلك ندندن أنا ومعاذ».

قال الصنعانى: «ففيه أنه يدعو الإنسان بأى لفظ شاء من مأثور وغيره».

دعاء الخليل عليه الصلاة والسلام:

كان يقول إذا أصبح: اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه عَلَىَّ بطاعتك، واختمه لى بمغفرتك ورضوانك، وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى، وزكها وضاعفها لى، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم.

قال: ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه.

دعاء الخضر عليه السلام:

يقال إن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات: «بسم الله ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، ما شاء الله، كل نعمة من الله، ما

شاء الله، الخير كله بيد الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله». . فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك ما كان يدعو به سيدنا عمر بن عبد العزيز «نقلا عن كتاب سيرة عمر ابن عبد العزيز»: «اللهم رضني بقضائك، وبارك لي قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت».

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما برح بي هذا الدعاء حتى لقد أصبحت ومالي في شيء من الأمور هوى إلا في مواضع القضاء.

وكان عمر بن عبد العزيز إذا دخل الكعبة قال: اللهم إنك وعدت الأمان دخال بيتك، وأنت خير منزل به في بيته.

اللهم اجعل أمان ما تؤمنني به، أن تكفيني مؤونة الدنيا، وكل هول دون الجنة حتى تُبَلِّغنيها برحمتك يا أرحم الراحمين.

وكان أيضًا يدعو فيقول: اللهمَّ ألبسني العافية حتى تهنيني المعيشة واختم لي بالمغفرة حتى لا تضرَّني الذنوب، واكفني كل هول دون الجنة تبلِّغنيها برحمتك يا أرحم الراحمين.

وكان إذا وقف بعرفات قال: اللهم إنك دعوت إلى حج بيتك، ووعدت به منفعة على شهود مناسكك. وقد جئتك. اللهم اجعل منفعة ما تنفعني به أن تؤتيني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وأن تقيني عذاب النار.

وكان يقول: اللهم لا تعطني في الدنيا عطاء يبعدني من رحمتك في الآخرة.

وكان يقول: يا رب انفعني بعقلي، واجعل ما أصير إليه أهم إلي مما ينقطع عني، اللهم إني أحسنت بك الظن فأحسن لي الثواب، اللهم أعطني من الدنيا ما تقيني به فتنتها، وتغنيني به عن أهلها، وتجعله لي بلاغًا إلى ما هو خير لي منها، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

دعاء إبراهيم بن أدهم :

وقد روى الإمام الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين عن إبراهيم بن بشار أن إبراهيم بن أدهم ﷺ كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح، وإذا أمسى :

«مرحبًا بيوم المزيد والصبح الجديد، والكاتب والشهيد، يومنا هذا يوم عيد، اكتب لنا فيه ما نقول، بسم الله الحميد المجيد، الرفيع الودود، والفعَّال فى خلقه ما يريد، أصبحت بالله مؤمنًا، وبلقائه مصدقًا، وبحجته معترفًا، ومن ذنبى مستغفراً، ولربوبية الله خاضعًا، ولسوى الله فى الآلهة جاحدًا، وإلى الله فقيراً، وعلى الله متكلا، وإلى الله منيبًا، أشهد الله، وأشهد ملائكته، وأنبياءه ورسله، وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خلقه، بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا، وأن الجنة حق، وأن النار حق، والحوض حق، والشفاعة حق، ومنكراً ونكيرًا حق، ووعدك حق، ووعيدك حق، ولقاءك حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، على ذلك أحيا وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله.

اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذى شر.

اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت.

لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، أنا لك وإليك، أستغفرك وأتوب إليك، آمنت اللهم بما أرسلت من رسول، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب، وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، خاتم كلامك ومفتاحه، وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يا رب العالمين.

اللهم أوردنا حوض محمد، واسقنا بكأسه مشربًا رويًّا سائغًا هنيًا، لا نظمأ بعده أبدًا، واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين.

اللهم اعصمنى من فتن الدنيا، ووفقنى لما تحب وترضى، وأصلح لى شأنى كله، وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ولا تضلنى وإن كنت ظالمًا. سبحانك يا على يا عظيم، يا بارئ يا رحيم، يا عزيز يا جبار، سبحان من سبحت له السموات بأكنانها، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغتها، وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهنَّ ومن عليهنَّ، سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته. تباركت وتعاليت سبحانك، سبحانك يا حى يا قيوم، يا عليم يا حليم. سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تُحيى وتميت وأنت حى لا تموت، بيدك الخير، وأنت على كل شىء قدير».

دعاء معروف الكرخى رضي الله عنه:

قال محمد بن حسان: قال لى معروف الكرخى رحمه الله: ألا أعلمك عشر كلمات، خمس للدنيا وخمس للآخرة، من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن. قلت: اكتبها لى. قال: لا، ولكن أرددها عليك كما رددها على بكر بن خنيس رحمه الله. «حسبى الله لدينى، حسبى الله لدنياى، حسبى الله الكريم لما أهمنى حسبى الله الحليم القوى لمن بغى علىَّ، حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء، حسبى الله الرحيم عند الموت، حسبى الله الرءوف عند المسألة فى القبر، حسبى الله الكريم عند الحساب، حسبى الله اللطيف عند الميزان، حسبى الله القدير عند الصراط، حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم».

الشاذلى والذكر والدعاء:

وقد أفاض الإمام الشاذلى رضي الله عنه فى الذكر والدعاء مستلهمًا الكتاب والسنة وسائرًا على حدودهما. ونقتطف من ذلك ما يلى:

«اللهم إنا نسألك لسانًا رطبًا بذكرك، وقلبًا منعمًا بشكرك، وبدنا هينًا لينًا بطاعتك، وأعطنا مع ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب

بشر كما أخبر به رسولك ﷺ حسب ما علمته بعلمك، واغننا بلا سبب، واجعلنا سبب الغنى لأوليائك، وبرزخًا بينهم وبين أعدائك، إنك على كل شىء قدير.

اللهم إنا نسألك إيمانًا دائمًا، ونسألك قلبًا خاشعًا، ونسألك علمًا نافعًا، ونسألك يقينًا صادقًا، ونسألك دينًا قيمًا، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس.

اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة، والمغفرة الشاملة، والمحبة الكاملة الجامعة، والخلة الصافية، والمعرفة الواسعة، والأنوار الساطعة، والشفاعة القائمة، والحجة البالغة، والدرجة العالية، وَفكَّ وثاقنا من المعصية، ورهاننا من النقم بمواهب المنة.

اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، فذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها، واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائفها، وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها، واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها، وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك، حتى نخرج من الدنيا علي السلامة من وبالها، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها.

اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا لتكون توبتنا نابعة إليك منا، وهب لنا التلقى منك كتلقى آدم منك الكلمات ليكون قدوة لولده فى التوبة والأعمال الصالحات، وباعد بيننا وبين العناد والإصرار، والشبه بإبليس رأس الغواة، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تعتبر مع الحب منك، وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف، فآمن خوفنا ولا تخيِّب رجاءنا، وأعطنا سؤلنا فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك، وكتبت وحببت وزينت وكرهت وأطلقت الألسن بما به ترجمت، فنعم الرب أنت فلك الحمد على ما أنعمت، فاغفر لنا ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء، ولا بكفران النعم وحرمان الرضا.

اللهم رضِّنا بقضائك، وصبرنا على طاعتك وعن معصيتك، وعن الشهوات

الموجبات للنقص أو البعد عنك، وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف غيرك، ولا نرجو غيرك، ولا نحب غيرك، ولا نعبد شيئًا سواك، وأوزعنا شكر نعمائك، وغطنا برداء عافيتك، وانصرنا باليقين والتوكل عليك، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك، واجعل يدك مبسوطة علينا، وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يا نعم المجيب.

ومن دعاء سيدى على وفا:

بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم إنى أعددت لكل هول ألقاه فى الدنيا والآخرة: لا إله إلا الله، ولكل هم وغم: ما شاء الله، ولكل نعمة: الحمد لله، ولكل رخاء وشدة: الشكر لله، ولكل أعجوبة: سبحان الله، ولكل ذنب: أستغفر الله، ولكل ضيق: حسبى الله، ولكل مصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل قضاء وقدر: توكلت على الله، ولكل طاعة ومعصية: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تَهنَّا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا وتقبل منا يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين آمين.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم اجمعنا على أهل العلم والمعرفة والولاية والخصوصية والاصطفائية بحسن الأدب والإخلاص فى القصد، والتوفيق فى المطالب، واسلك بنا طريق السنة، وجنبنا طريق البدعة، ووفقنا للفهم عنك، وحسن الاعتقاد فى الإيمان بأسمائك وصفاتك.

ذكر ودعاء:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ويقول سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وحينما يكرر الإنسان بلسانه وقلبه اسمًا من أسماء الله سبحانه وتعالى فإنه يكون فى أثناء التكرار ذاكرًا وداعيًا.

فإذا ذكر باسم الرحمن سبحانه، أو باسم الرحيم، فإنه ذاكر لرحمانية الله ورحيميته، وهو من هذا القبيل ذكر، أى تذكر لله بصفة من صفاته. بيد أن من ثمار هذا الذكر - وللذكر ثمار كثيرة، فيما يتعلق بحظ العبد منه - إنما هو أن يرحمه الله تعالى، وبمقدار تكراره مخلصًا يكون فى رياض من رحمة الله سبحانه.

ولقد لجأ كثير من الصالحين إلى القرآن يستلهمونه ذكرًا مناسبًا لحالات معينة ليكون ذكرًا ودعاء، أو ليكون دواء وصفه الله فى ظروف محددة، وهو فى الوقت نفسه عبادة.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

هذه الآية تنتهى بقوله تعالى ﴿الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

ومعنى ذلك أن نزول الغيث بعد اليأس من نزوله، ونشر الرحمة حيث أوشك الناس أن يفقدوا الأمل منها، إنما كان نابعًا من صفة الله سبحانه التى هى: الولى الحميد.

وإذن فإن الإنسان حينما يكون فى ظروف شديدة، ولا يرى فيها فرجة للأمل، فعليه أن يلجأ إلى الله بصفته: الولى الحميد. أى عليه أن يديم الذكر - متجهًا إلى الله بكل كيانه - بصفة الولى الحميد.

فإذا ما فعل ذلك، نزل الغيث أى أتى الفرج، وفاضت عليه رحمة الله.

ويقول الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦-٢٨].

والبر الرحيم، من أجمل الصفات وأنسبها لاستجابة الدعاء.

وعلى الداعى الذى يعمل على تحقيق شروط الدعاء، أن يلجأ إلى الله لاستجابة دعائه بصفته: البر الرحيم، وذلك إشارة قرآنية لاستجابة الدعاء.

أما المغفرة فإن الصِّيغ التى يلجأ إليها الإنسان كثيرة متعددة منها:

الغفور الرحيم.

ومنها: غفور رحيم.

بالتعريف فى الاسمين الشريفين وبدونه.

يقول تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

وفى القرآن من أمثال هذا كثير للدلالة على كيفية الالتجاء إلى الله من أجل المغفرة. على أن الالتجاء إلى الله للمغفرة له صيغ أخرى أرشد الله إليها، منها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومنها: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي...﴾ [القصص: ١٩].

ويرى بعض الصالحين، أن هذه الصيغ وهذه الأسماء، إنما هى صور لاسم الله الأعظم، وأنه ليس لاسم الله الأعظم صيغة واحدة، أو اسم واحد، وإنما هو صيغ وأسماء، ولكل حالة ما يناسبها.

وعلى هذا فاسم الله الأعظم الذى يوصف لسعة الرزق إنما هو الاستغفار.

يقول تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

واسم الله الأعظم الذى يوصف للنجاة من العذاب فى الدنيا إنما هو الاستغفار أيضًا:

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

واسم الله الأعظم لحفظ كل نفيس وزيادته، ومنع الحسد عنه هو: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

واسم الله الأعظم لتلافى الكوارث والمصائب المالية، إنما هو - مع إخراج حق الله - التسبيح.

يقول تعالى، فى قصة أصحاب الجنة على لسان أوسطهم، أى أمثلهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨].

والاسم الأعظم لتفريج الشدة هو التسبيح أيضًا. يقول تعالى عن سيدنا ذى النون: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

فنجاته إنما كانت لأنه كان من المسبحين.

أما الأمور المتشابكة التى تحتاج إلى تنسيق دقيق، وتدبير بارع لتنتهى إلى نتيجة سارة: فاسم الله الأعظم بالنسبة لها، هو تكرار قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومن هذا القبيل، هذه النظرات الصائبة، والنصائح الذكية التى وجهها سيدنا جعفر الصادق لطوائف من الناس.

يقول ﷺ: عجبت لمن ابتلى بأربع كيف يغفل عن أربع:

١ - من ابتلى بالضر كيف يغفل عن: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم معقبًا على ذلك: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

٢ - من ابتلى بالغم كيف يغفل عن: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ويقول تعالى فى القرآن الكريم معقبًا على ذلك:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

٣ - من ابتلى بموجبات الخوف كيف يغفل عن: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ويقول الله تعالي في القرآن الكريم معقبًا على ذلك: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

٤ - ومن ابتلى بالمكر كيف يغفل عن: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

ويقول الله تعالي في القرآن الكريم معقبًا على ذلك: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

ولقد كتب كثير من الصالحين عن أسماء الله الحسنى شارحين وموضحين ومبينين فى الوقت نفسه أثرها بالنسبة للذاكر، ويعبرون عن هذا الأثر بقولهم: «وحفظ العبد منه . . .».

ونذكر أمثلة لذلك من الكتاب النفيس فى هذا المجال الذى ألفه الإمام الغزالى وسماه: «المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى».

الله: هو اسم للموجود الحق لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقى، فإن كل موجود سواه، غير مستحق للوجود بذاته، وإنما استفاد الوجود منه، فهو من حيث ذاته هالك، ومن جهته التى تليه موجود هالك إلا وجهه، والأشبه أنه جاء في الدلالة على هذا المعنى مجرى الأسماء الأعلام، وكل ما ذكر فى اشتقاقه وتصريفه تعسف وتكلف.

فائدة: اعلم أن هذا الاسم أعظم الأسماء التسعة والتسعين، لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء، وسائر الأسماء لا تدل آحادها إلا على آحاد المعانى من علم أو قدرة، أو فعل أو غيره، ولأنه أخص الأسماء، إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازًا وسائر الأسماء قد تسمى به غيره، كالقادر، والعليم، والرحيم، وغيره.

فلهذين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء.

دقيقة: معانى سائر الأسماء يتصور أن يتصف العبد بثبوت منها حتى ينطلق عليه الاسم، كالرحيم، والعليم، والحليم، والصبور، والشكور وغيره، وإن كان إطلاق الاسم عليه على وجه آخر يباين إطلاقه على الله، وأما معنى هذا الاسم فخاص، خصوصًا لا يتصور فيه مشاركة، لا بالمجاز ولا بالحقيقة، ولأجل هذا الخصوص، يوصف سائر الأسماء بأنه اسم الله، ويعرف بالإضافة إليه، فيقال: الصبور، والشكور، والجبار، والملك من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الصبور والشكور، لأن ذلك من حيث هو أدل على كنه المعانى الإلهية وأخص بها فكان أشهر وأظهر فاستغنى عن التعريف بغيره، وعرف غيره بالإضافة إليه.

فائدة: ينبغى أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله، وأعنى به أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى، لا يرى غيره، ولا يلتفت إلى سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه، وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود الحقيقى الحق، وكل ما سواه فان وهالك وباطل إلا به فيرى أولا نفسه أول هالك وباطل، كما رآه رسول الله ﷺ حيث قال: **«أصدق بيت قالته العرب قول لبيد»**:

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل..»

«الغفار» هو الذى أظهر الجميل، وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التى سترها بإرسال الستر عليها فى الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها فى الآخرة، والغفر هو الستر وأول ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه أى ما تستقبحها الأعين مستورة فى باطنه مغطاة في جمال ظاهره، وكم بين باطن العبد وظاهره فى النظافة والقذارة وفى القبح والجمال، فانظر ما الذى أظهره وما الذى ستره.

وستره الثانى: أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة، ستر قلبه حتى لا يطلع أحد على ستره، ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله في مجارى وساوسه وما ينطوى عليه ضميره من الغش والخيانة وسوء الظن بالناس لمقتوه، بل سعوا فى روحه وأهلكوه، فانظر كيف ستر عن غيره أسراره وعوراته.

وستره الثالث: مغفرته ذنوبه التى كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق، وقد وعد أن يبدل سيئاته حسنات ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته مهما ثبت على الإيمان.

تنبيه: حظ العبد من هذا الاسم، أن يستر من غيره ما يحب أن ينستَر منه. فقد قال ﷺ: **«من ستر على مؤمن عورته، ستر الله عورته يوم القيامة»**، والمغتاب والمتجسس والمنتقم والمكافئ على الإساءة بمعزل عن هذا الوصف، وإنما المتصف به من لا يغشى من خلق الله تعالى إلا أحسن ما فيه ولا ينفك مخلوق عن كمال ونقص وعن قبح وحسن، فمن تغافل عن المقابح وذكر المحاسن، فهو ذو نصيب من هذا الاسم، كما روى عن عيسى عليه السلام، أنه مرَّ مع الحواريين على كلب ميت قد غلب نتنه، فقالوا: «ما أنتن هذه الجيفة»، فقال عيسى عليه السلام: «ما أحسن بياض أسنانه» تنبيهًا على أن الذى ينبغى أن يذكر من كل شىء ما هو أحسن.

«الرزاق» هو الذى خلق الأرزاق والمرتزقة: وصلها إليهم، وخلق لهم أسباب التمتع بها.

والرزق رزقان: رزق ظاهر، وهو الأقوات والأطعمة، وذلك للظواهر، وهى الأبدان.

ورزق باطن: وهو المعارف والمكاشفات، وذلك للقلوب والأسرار. وهذا أشرف الرزقين، فإن ثمرته حياة الأبد، وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد. والله المتولى لخلق الرزقين، والمتفضل بالإيصال إلى كل من الفريقين، ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

تنبيه: غاية حظ العبد من هذا الوصف أمران:

أحدهما: أن يعرف حقيقة هذا الوصف، وأنه لا يستحقه إلا الله تعالى، فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل فيه إلا عليه، كما روى عن حاتم الأصم، أنه قال له رجل: من أين تأكل؟

قال: من خزانته.

فقال الرجل: أيلقى عليك الخبز من السماء؟

فقال: لو لم تكن الأرض له، لكان يلقيه من السماء.

فقال الرجل: أنتم تؤولون الكلام.

فقال: لأنه لم ينزل من السماء إلا الكلام.

فقال الرجل: أنا لا أقوى على مجادلتك.

فقال: لأن الباطل لا يقوم مع الحق.

الثانى: أن يرزقه علمًا هاديًا، ولسانًا مرشدًا معلمًا، ويدًا منفقة متصدقة، ويكون سببًا لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله، وأعماله، وإذا أحب الله تعالى عبدًا أكثر حوائج الخلق إليه، ومهما كان واسطة بين الله وبين العباد فى وصول الأرزاق إليهم، فقد نال حظًا من هذه الصفة. قال النبى عليه الصلاة والسلام.

«الخازن الأمين الذى يعطى ما أمر به طيبة به نفسه أحد المتصدقين. وأيدى العباد خزائن الله تعالى، فمن جعلت يده خزانة أرزاق الأبدان، ولسانه خزانة أرزاق القلوب، أكرم بثواب من هذه الصفة».

الفصل الخامس

ثمرة الدعاء

يقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

إنه وعد من الله تعالى، مبنى على أسس واضحة، فإذا أقيمت هذه الأسس كانت النتائج والثمار لا تتخلف، وهذه النتائج والثمار ستبقى ما بقيت الأسس.

أما الأسس فإنها الإيمان والأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة المترتبة على الإيمان القرآنى كل متماسك: إنها صلاة وصيام وهى إعداد واستعداد بصورة تتناسب مع قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهى خلق كريم، نابع من مصادر الخلق الإسلامى، وهى الكتاب والسنة القولية والعملية. إن الأعمال الصالحة استقامة فى جميع الزوايا والميادين: إنها استقامة فى العمل، واستقامة فى العبادة، واستقامة فى السلوك، استقامة على النهج الإسلامى فى الروح والشكل، فى الجوهر والرسم.

فإذا ما تحقق الإيمان والأعمال الصالحة، تحققت الثمار التى وعد الله سبحانه وتعالى بها. وأولى هذه الثمار هى الخلافة فى الأرض.

ولقد جعل الله الإنسان فى الأرض خليفة، والإنسان الذى يهيئ له الله الخلافة الحقة، هو الإنسان المؤمن إيمانًا حقيقيًا، والإيمان الحقيقى يتضمن العمل الصالح، ولن يتأتى أن يكون العمل الصالح إلا إذا كان على أساس من العلم، ومن أجل ذلك علم الله آدم عليه السلام الأسماء كلها قبل جعله على الأرض خليفة. ومن أجل ذلك أيضًا، كان رسول الله ﷺ يدعو الله قائلا: ربّ زدنى علمًا.

وسنة الله تسير على نسق مطرد، منذ أن خلق الخلق إلى الآن، وهو سبحانه كلما أقيمت الأسس أخذ بيد المقيمين لها، فرفعهم إلى القمة أفرادًا كانوا أو جماعات.

الثمرة الثانيـة التى يجتنيها أصحاب الإيمان والعمل الصـالح أن يمكِّن الله سبحانه وتعالى لهم دينهم الذى ارتضى لهم.

وإن الدين الذى رضيه الله دينًا منذ بدء الخليقـة، إنما هو الإسلام. ولقد قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وتمكن الدين معناه: الأمان على أسمى ذخـيرة عند المؤمن، إنه الاطمئنان الخالى من القلق على ما هو أعز عند المؤمن من نفسه وماله.

أما الثمرة الثالثة التى يجتنيهـا المؤمنون الصادقون فهى: أن يبدل الله خوفهم أمنًا، وقلقهم اطمـئنانًا. وتأمل قوله تعالى فى مـواقف المؤمنين الصادقين، يقول سبـحانه: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

إن ثمرة الثمار، وإن نتيجة النتائج هى ما عبر عنه سبحانه بقوله: ﴿ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥].

وأما بعد: فإذا ما عبدوه سبحانه دون إشراك، إذا ما عبدوه فى إخلاص لا يشوبه شرك، إذا ما حـققوا العبودية له سـبحانه، العبـودية فى الباطن والظاهر، فى القلب والسلوك، فإنه سـبحانه وتعالى يدخلهم فى رحـمته، ويشملهم على الدوام بـهدايته ونصره. ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١].

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

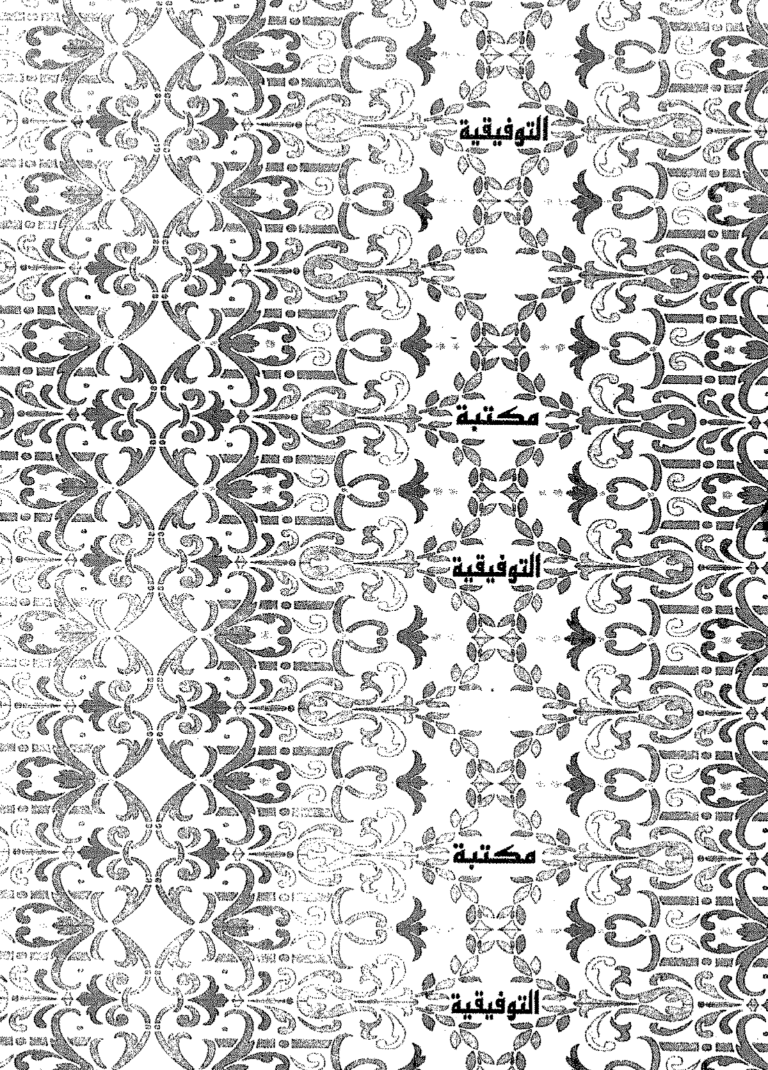
فهرس موضوعات كتاب «فاذكرونى أذكركم»

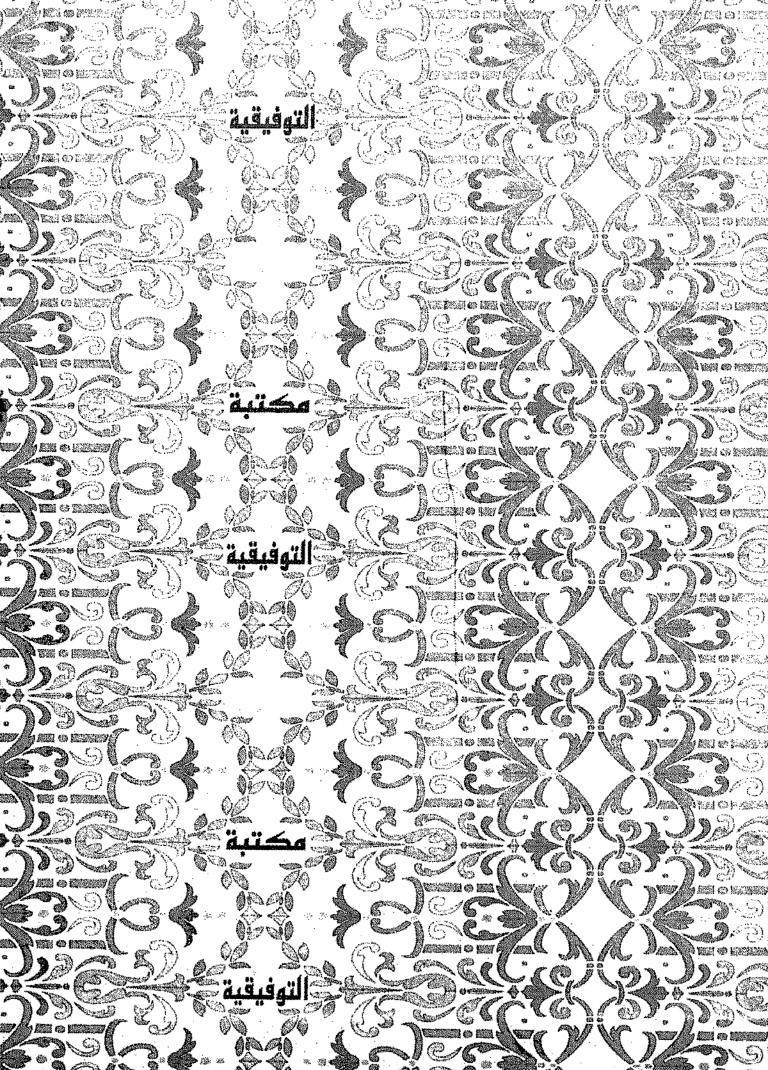
الموضـــــوع	الصفحة

١ - فى الذكر

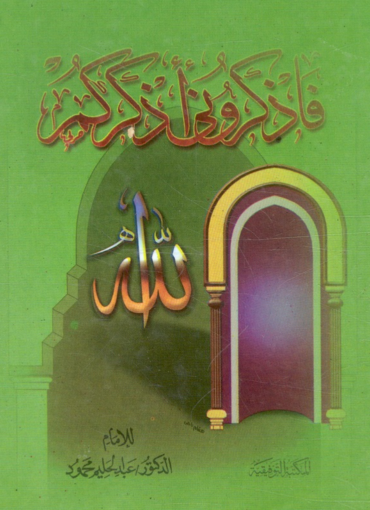
الموضـــــــوع	الصفحة

٢ - فى الدعاء


التوفيقية
مكتبة
التوفيقية
مكتبة
التوفيقية


التوفيقية
مكتبة
التوفيقية
مكتبة
التوفيقية


Bibliotheca Alexandrina
0667015


فاذكروني أذكركم
الله
للإمام
الدكتور/ عبد الحليم محمود
المكتبة التوفيقية